الشيخ

فرح ودتكتوك

حلال المشبوك

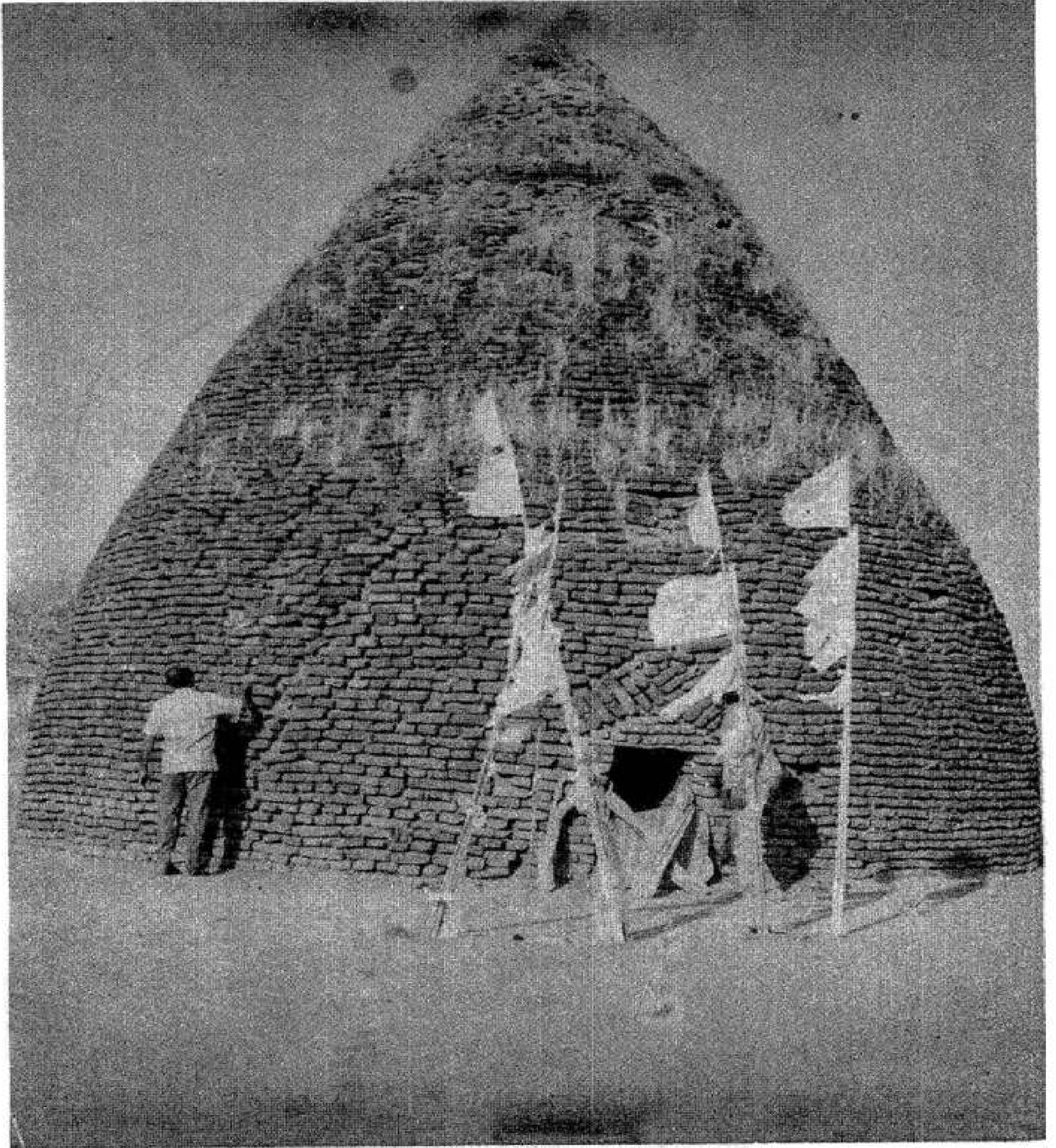


الطيب محمد الطيب

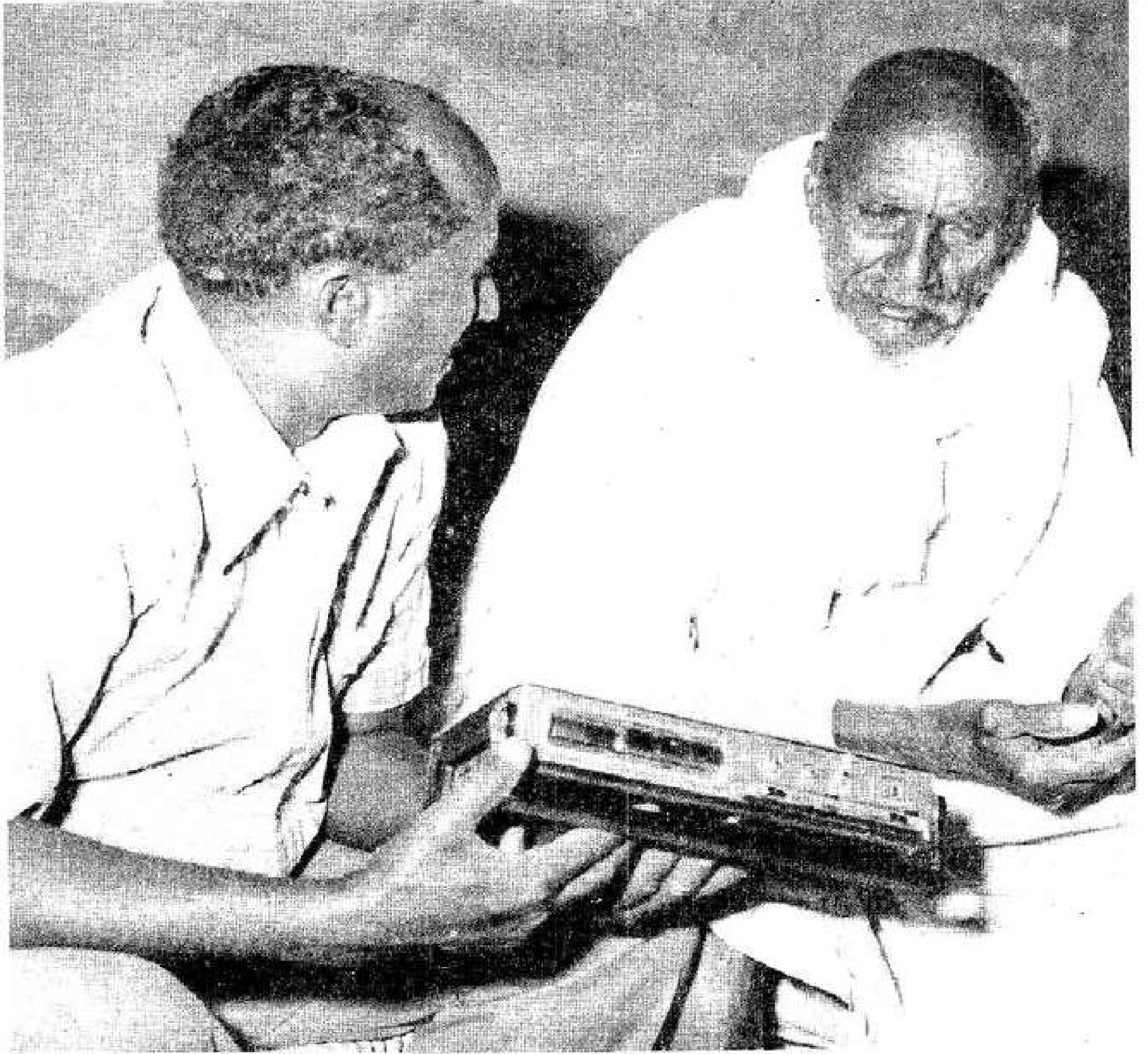
حلّال المشبوك

فرح ود تكتوك

١٠٤٧ ـــــ ١١٤٧ هـ



قبة الشيخ عبد القادر راجل ام قزازه



محمد ابراهيم من احفاد الشيخ فرح ود تكتوك



قبر الشيخ فرح

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله عليه وسلم .

هذا تاريخ الدولة الفونجية بالمدينة السنارية حماها الله تعالى أولهم السلطان عمارة دونقس ولد سنون قتل الملك حسب الله العنجاوى وملك القرية وأخذ منه الملك ومكث فيه اثنين وأربعين سنة ثم تولى بعده الملك ابنه نايل ، ملكه سبعة عشرة سنة ثم تولى بعده الملك عبد القادر وملكه عشرين .. الخ .

تاريخ ملوك الفونج وثيقة الشيخ عبد القادر الشيخ حمدان اليعقوبابي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

صلى الله عليه وسلم

هذا تاريخ الدولة الفخيمة بالمدينة السنارية حماها
الله تعالى ... السلطان عمارة دونقس ولد بسعون قتل الملك
... الله ... وملك القرية واخذ منه الملك وملكت فيه
[illegible] سنة ثم تولى بعده ابنه الملك نايل وملكه سبعة
عشر سنة ثم تولى بعده الملك عبد القادر وملكه ... ثم تولى
بعده الملك ... [illegible]
[illegible]
... ثم بعده تولى الملك ... [illegible]
تسعة عشر سنة ثم تولى ... الملك دورة وملكه
... سنين ثم بعده تولى الملك طبل ... [illegible]
انقادوا وملكه ... ثم بعده تولى الملك اونسه
ولده وملكه ثمانية ... سنة ثم بعده تولى ... عبد القادر
ولد اونسه وملكه ثلاثة سنين ثم بعده تولى الملك عدلان
ولد ... وملكه اربعة سنين ... ثم تولى ...

من قصيدة الشيخ عبد القادر راجل. امقزازه في رده على الشيخ فرح

ولايبقى النميمة الاشقى // وابناء الزنات الخائبين //
فهم والله من نبتة دشئ // ونبات من ارذل الارذلين
نبات من ذر حناظل // كما البطيخ ينبت في البساتين
وجئتك يا اخي معتذر عذر // القبول فعل الصالحين
ويقبله الكبار والصغار // ويرضي الله رب العلمين
فاجمعهم والهاهم // عن الحق المبين
وصلي الله خالقنا تعالي // علي طه امام المرسلين

انتهى جواب الشيخ فرح وهذا رد جواب الشيخ عبد القادر كالاتي

الي حضرت الفقير فرح // المنسب الي البطاحين
فان لم تكن من المرشدين // فاسئل خاتم المرسلين
وان لم تساله كن من المتوفيين // فلما رد هذا كان المرض يفي الحين

انتهى علي سبيل الاختصار

او سبب وفاته اصابته حمه

اقامت فوق . ثلاثة ايام وتوفي بالحمد وهو

باليوم السادس اول الظهر نهار عشرين

في شهر الربيع الثاني سنة سبع و

اربعين بعد المائة والالف من الهجرة النبوية

على صاحبها افضل الصلاة وازكى التسليم

وذلك بعد ما صلى الظهر تشهد وقرا سورة

الاخلاص ثلاث مرات وتوفي ودفن بقبره

الاثنين وصلى عليه خلقا كثيرا الا الله رحمه

حرر هذه الوثيقة محمد بن محمد تلميذ الشيخ فرح وذلك ساعة وفاة الشيخ

فهرست

الفصل الاول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

تقديم

القاضي دشين ، الخطيب عمار ،
عبد الماجد ود حمد الأغبش ، حمد
ود أم مريوم ، عجيب المانجلك ،
فرح ود تكتوك ، السلام عليكم :
آبائي .. أهل الخير والفلاح
يامن بددتم ظلام تلك الأيام وما زال
ضوء كلماتكم يهدي إلى طريق الحق
والصواب اهدي هذه الأسطر
والكلمات التي هي منكم واليكم .

الطيب

الفصل الاول

تمهيـــد :ـ

فاطمة بت فاطمة جدتى لابى امرأة لها شخصيتها المميـزة بين نساء قريتها ؟ اذ تحسب أنها واحدة من النســاء اللائى اشتهرن بحب العمل والكدح ، ثم اشتهرت بأنها راويـــة ومحدثة ثم مغنية فى المناسبات الكبيرة التى تهم عشيرتها ٠

وتزعم تلك الجدة أن أهل أمها فقراء « يروبون المــاء » هذه الاسباب جعلت لها مكانة اجتماعية كبيرة وسط آهلهـا ومن ثم كانت مسموعة الكلمة نافذة الاشارة عــلى الكبـار والصغار ٠

وسمعت اسم الشيخ فرح ود تكتوك لاول مرة من جدتى تلك اذ كنا نتحلق عندها كل أمسية لنســمع الحجــا والقصص والحكايات المشوقة ٠٠ التى كانت تقصها بأسـلوب درامى جذاب ولا أنسى المواقف التى تتطلب آن يؤدى البطل فيهــا مقطعا غنائيا ٠ كانت تتمهل وتتهدج فى ترديد وترجيـع الاغنية بصوتها الرنان ومن ضمن حكاياتها لنا قصة الشيخ فرح وود أب زهانة ٠٠ وكنا نحسب آن الشيخ مثل الغــول والسعلوه والدكع وفاطمة القصب الاحمر ٠؟ (١)

وظل هذا الاعتقاد عندى ردحا من الزمن ثم تأكـد عنـدى أن الشيخ شخصية حقيقية من كثرة ما سمعت عنــه وثبـت ذلك عندى من غير شك بعد أن سمعت فى منتصف الخمسينات حديثا كثيرا من خالى مصطفى على شبر الذى أقــام قرابة

---

(١) السعلوة ـ السعلاة ـ الدكع ـ فاطمة القصب الاحمر ـ ثلاثتها من القصص الشعبى المعروف فى وسط السودان وتدخل فى اطار الاحاجى ولا تخلو تلك القصص والحكايات من التوجيه الاخلاقى الذى يرضاه المجتمع

الاربعين سنة فى قرية الشيخ فرح • ثم كلفتنى شعبة أبحاث السودان سنة ١٩٧٠ أن أعد كتابا عن حياة البطاحين وشرعت فى جمع المعلومات الاولية عنهم وحسب خطة شعبة أبحاث السودان ينبغى على أن أطوف عليهم فى أماكنهم وبدأت بعاصمتهم أبودليق وما حولها ثم أبرق ــ أب زليق ــ المايقوما ــ الحاج يوسف ــ ثم زرت قراهم الواقعة شرقى النيل الازرق مثل ود ساقرته والفعج • ثم ذهبت لسنار وجبل موية والمناقل ثم أربجى والسديرة وبقية أطراف الجزيرة المروية وتسنى لى خلال هذه الرحلات التى دامت حوالى عشرة شهور جمع معلومات عن البطاحين كمجموعة وكان فى كل مرة أسأل فيها الرواة والمحدثين عن أخبار أسلافهم يرتفع اسم الشيخ فرح شامخا قويا •

وجدت عندى بعد الفراغ من اعداد كتاب التراث الشعبى لقبيلة « البطاحين » • شتاتا من المعلومات حفزتنى لمواصلة البحث عن سيرة هذا الرجل وزرت بعدئذ سنار وما حولها ست مرات وفى كل مرة كنت أجد بعض المعلومات الجديدة عنه • وبعد أن حصلت على تلك الروايات الشفهية رحت أسأل عن بعض آثاره المحفوظة فلم يخيب أهل الفضل ظنى •

فوجدت بضع مخطوطات تحدثت عن سيرته ودونت أقواله وكان أهمها مخطوط الشريف يوسف الهندى المسمى (تاج الزمان فى تاريخ السودان) باب تراجم الاولياء •

كذلك مخطوط الشيخ الحسن محمد طلحة بودساقرته ناحية رفاعة يوسف بسنار «عمارة البطاحين» ومخطوطات ــ فرح مخطوط الشيخ الحسن محمد طلحة بود ساقرته ناحية رفاعة

يوسف بسنار « عمارة البطاحين » ومخطوطات ـ فـــرح القاسم ـ « كساب الجعليين » والاخير من أحفاد الشيخ فـرح وأكثرهم حفظا لمأثورات الشيخ وبحوزته وثائق مهمة جدا أطلعنى عليها مشكورا ٠

ثم وجدت بعضا من أخباره فيما كتبه المستر « هيللسون » (السودان فى رسائل ومدونات) وما كتبه نعوم شقير فى كتابه « جغرافية وتاريخ السودان » وأيضا كتاب « تاريـخ الثقافة الغربية فى السودان » للدكتور عبد المجيد عـابدين ثم كتيب الاستاذ أبو القاسم محمد بدرى عن الشيخ فـــرح ومن خلال هذه المصادر وغيرها كانت مادة هذا الكتاب التى أضعها بين يدى القارىء ، أرجو أن تكون خالية من الشوائب التى ينسجها العامة حول سيرة هذه المجمـــــوعة من رواد الثقافة الاولين ٠ ثم ان الكتابة عن المشائخ أصحاب المكـانة الكبيرة فيها كثير من المزالق ولا سيما ان كـــان الحـــديث موجها لجيل بعدت أكثريته عن التراث أو عنها ابتعـــد مما يستدعى مخاطبتها بأسلوب سهل خـــال مـــن الاثـــارة والتهـــويل ٠٠ وهـــذا ما حـاولته وأعـــــانني عليه سلوك الشيخ فرح الذى كان متميزا بالبساطة والجد ٠

أقواله وأشعاره :

أما أقواله وأحاديثه فقد كتبتها كما وجدتها وفيها المستقيم والمضطرب « الشعر بصفة خاصة » وظنى أن للـرواة يد فى ذلك الاضطراب والوهن ولم أحاول تقويم أى شيء منهـــا ولعل هذا يقع فى الغد على من يتصدون لمثل هذه الدراسات وأعتقد أن حياة الشيخ فرح تتســـع للمزيد من البحـث

والاستقصاء وكل جهد يضاف الى هذه المحاولة تنعكس آثاره في تجسيد شخصية شيخنا فرح الذى أثرى حياة معاصريه ولا زال مؤثرا حكمة وقدوة ورمزا للمثقف السودانى فى مواجهة تحديات عصره ·

هذا وقد أجهدت نفسى فى العثور على بعض من آثاره ووجدت الاشارات اليها فى مخطوط « تاج الزمان » وفى الروايات الشفهية الاخرى ·

حلال المشبوك

أطلق عليه هذا اللقب بعض مشائخ ذلك الزمان والقصة المتعلقة باللقب لاتخلو من الطرافة ·

حكى أن الملك أونسه كانت له علاقة صداقة مع الشكرية وفى مرة أهدوه جملا (أصيلا) فأعجب به غاية العجب وخصص له جماعة من الخدم أوقفهم لخدمة الجمل ، وعودوه أكل اللحم والتمر وشراب اللبن والسمن وخصص له مراحا من البقر لشرابه ·

وذات ليلة كان الامير بين ندمائه يحتسون الخمر وكانوا يتجاذبون الحديث عن المشائخ وكراماتهم ··

هذا يطير فى الهواء وذاك يمشى على وجه الماء وثالث يحيل الماء لبنا وغير ذلك مما هو شائع وقتذاك وفاجأهم الملك قائلا :

طيب ياجماعة اذا كان الفقرا يفعلون كل هذا فهل فى امكانهم أن يعلموا هذا البعير القراءة والكتابة ؟

فقالوا بصوت واحد نعم أطال الله عمر الملك يفعلون هذا بالتأكيد · قال : اجمعوا فى الصباح كل الفقرا ·

وفى الصباح توافد بعض الفقرا علــى قصر الامير وهـم لا يدرون لاى سبب جىء بهم • ولما اكتمل عددهم أدخلوهـم على الملك فحكى لهم (المقدم) السبب الذى دعوا من أجلـه • وقدم لهم البعير بهذه العبارات :

هاى يا الفقرا •• يا أهل الدايرة ـ آبان وجوها نايره ـ يا البتعرفوا الراكة ـ والطايرة • طلب الملك منكم مو كتيـر ولا هو كبير ـ فقط تعليم البعير •

والبعير يا أهل الدايره ـ أصهب ود أصهب وأمـه حـرة بشارية وهو ود (مية) يعنى بالصريح الفصيح البعير ابـن ريـح (١) •

الفقير : أدام الله مجد أمير المؤمنين • وناصر الحق والدين ومبدد شمل المخالفين ، نطلب منكم مهلة مقدارها يومين •

فهمس المقدم فى أذن الامير ورفع رأسه مخاطبا الفقرا :

المقدم : أدام الله عز حامى سنار ، وقاهر الاعداء الفجـار قبل عذركم ليومين فلا يكون بعدهن عـذر ولا تأخير أشربوا القهوة وأعطونا الفاتحة •

فلما خرجوا من عندهم تلاوموا وتحاجوا من الذى رماهـم فى هذه الورطة • وصاح بهم فقيـــر حاضر البديهة وقـال لا يخرجنكم من هذه الورطة الا فرح ود تكتوك فآمنوا جميعا على قوله •

وانطلق رهط منهم يطلب (المركب) فباتوا ليلتهم بحلـة « الحجيرات » عند الشيخ فرح ولم يعطوه فرصة ليسألهم عـن

(١) ابن ريح ـ هو البعير الذى يكمل تمام المائة فيزعمون انه بن ريح يعنى بن الجان فيكون نادر المثال

سبب حضورهم فحكى له القصة أفصحهم وأدقهم تعبيرا والبقية يؤمنون ويحوقلون ٠!!

فقال لهم فرح الامر فى غاية البساطة والسهولة انا أقوم بهذه المهمة نيابة عنكم ٠

٠٠ دا الحين أذهب معكم ٠٠

وفى اليوم المضروب تجمهر الفقرا أمام القصر وحولهم حشد من الاتباع بجببهم وأباريقهم ومسابحهم ينادى مناد أدخلوا أيها الفقرا ٠

ولما أخذوا مجلسهم دخل عليهم الامير فسلم وردوا عليه التحية بأحسن منها ٠

فبادرهم المقدم : ان شاء الله رجعتم بالامر الذى يسر الامير ٠

الفقرا : نعم أتينا بفرح ولد تكتوك

المقدم : فرح شن معناه فقير الترابلة والرعاوية (١)

دا أمر صعب يافقرا فكروا سمح

الفقرا : فرح مأمون يامقدم على البعير ماعندنا اى شك فى ذلك ٠

فرح يقف ويخاطب المقدم : أنا مسئول عن أمر هذا البعير أمام مشائخى الفقرا وأمام الامير فالطالب عندنا نعلمه الكتابة والقراءة فى أربع سنوات وها البعير نعلمه القراءة والكتابة أيضا فى أربع سنوات ٠

المقدم : وان لم يتعلم ياشيخ فرح ٠؟

فرح : يفعل الامير مايراه بالفقير ٠

---

(١) الترابلة ـ المزارعون والكلمة ربما كان اصلها نوبى ـ مفردها تربال

المقدم : يهمس فى أذن الامير ويرفع راسه : قبل طـــويل العمر شروطك فقام معه وحولهم الفقرا والجند وسلمه البعير ومعه مراح البقر وبضعة شوالات من التمر وعدد من الخدم ·

وخرج فرح مشيعا بعبارات الشماتة والحسد حتى وصـــل حلته · وبعد أيام ذهب له جماعة من الفقرا يسالونه آجد أم هزل مافعله · فقال لهم أبوك ياجاه الرسول ·

أنا البطحانى

العارف باطن الزمانى

تمضى هذه السنوات الاربع وينفذ القدر

اما فى الامير

واما فى الفقير

واما فى البعير

والقصة تكشف عن شجاعة الرجل وتقديره للامور لانـــه يقرأ الحوادث ويتفرسها ويعلم علم الخبير أن حكم هذا الملك غير المستقيم لايدوم الا آياما ·

وقد حصل ماتوقعه الشيخ فهلك الامير ولحقه بعد عـــام البعيرى وسلم الفقير ··

فلقبوه منذ ذلك اليوم بفرح ود تكتوك ـ حلال المشبوك ·

والراجح أن الشيخ فرح ود تكتوك عاصر هذه الحقبة التى تعاقب فيها خمسة أو ستة من سلاطين الفونج وكان أهمهـم بادى أبو دقن وأونسه وبادى الاحمر ـ ويرى الشيخ المكاشفى البطحانى والشيخ الطيب سالم وفرح القاسم (١)

---

(١) تاريخ ملوك الفونج نقلا عن وثيقة الشيخ عبد القادر الشيخ حمدان خليفة اليعقوباب بقرية العجاج شمال غرب سنار

أن الشيخ فرح عاش عمرا ناهز المائة سنة واستمد شيخنا تجاربه وفلسفته العميقة فى الحياة من هذا الواقع المتقلب الذى لايبقى على حال .

سنار

« أمانةْ يا سنار
الفِيك العلماء والخِيار
بعد الحال
يَبْين فيك خبار
يَينُوك بالحِجار
ويمرقوا مِنّك النار ،

بان الخبار فى سنار .. وأستخرج أحفادك اليوم النار من بحر سنار ، وأشادوا المعمار ، وجلبوا أحدث ما أنتجه العقل المعاصر ، فالمكنات الجبارة والمصانع تتناثر هنا وهناك والحياة زاخرة تتحرك فى كل لحظة فنم قريرا يا أبانا فقد تحقق بالحرف ما أشرت اليه وثبت فراستك وبعد نظرك ومازلنا نرى من خلال استشرافك المستقبل الامل والرجاء المدعوم بالعمل الجاد المخلص .

لذلك كان علينا لتقريب صورة الشيخ فرح أن ننظر ايضا فى الاطار المحيط به . فشيخنا كان من الصفوة المؤثرة فى الحياة السياسية والاجتماعية أيام السلطنة الزرقاء .. ونرى فى شعره وحكمه صدى للحالة السياسية والاجتماعية التى عاصرها فلعلنا بأستعراض القمم القيادية فى تلك الحقبة نرى المزيد من الاضواء التى تهل من صورة شيخنا

فرح ·

هذا وقد قسمت الكتاب الى أربعة فصول ·

الفصل الاول :

يشمل السلطنة الزرقاء الفونج ـ والحكام الذين عاصرهم الشيخ كاطار عام لصورته ولفهم شعره وحكمه وأقواله وكذلك يتضمن هذا الفصل لمحات عن نشأة الشيخ وبيئته وأسرته ·

الفصل الثانى :

الوضع الاجتماعى والثقافى ـ سلوك الشيخ العام والخاص

الفصل الثالث :

مناظرته مع الزبالعة والمسلمى

الحكمة ـ الفراسة ـ الرجال ـ النساء ـ الفقراء ·

الفصل الرابع :

الشعر ـ العلم ـ ود أم قزارة ـ الصبر ـ نصيحة الخ ··

والفضل والشكر كله للشيوخ والاباء الاجلاء الذين منحونى ذاكرتهم فتسكعت فى رحابها متشجعا بعفويتهم وحبهم لسيرة الشيخ ·

وكلمة شكر للاستاذ الفنان تاج السر أحمد الذى عبق بريشته ذكرى تلك الايام الفواحة فى تراثنا ·

والتقدير والشكر للصديق الاستاذ يحيى العوض الذى قرأ مسودة هذا الكتاب وصوبنى اضافة وحذفا والى كل من أعاننى بحرف أو كلمة الفضل والشكر ·

محبكم

« الطيب »

السلطنة الزرقـاء

الحديث عن فرسان السلطنة الزرقاء · احـــدى رايـات تاريخنا الشامخة أبدا ·

اطار عام فى محاولة تجميع أضواء من صورة شيخنا فرح ود تكتوك ·

ان سودان اليوم كان علما منذ عهـــد ســـحيق عرفه · الفراعنة ـ الرومان ـ الاغريق ـ الاحباش ـ ثم العـــرب وغيرهم ·

كما عرف أيضا بأسماء دول وممالك عدة أهمها : كوش ـ نبتة ـ مروى ـ مقره ـ علوة ـ الخ · ·

ويقول علماء التاريخ ان دولة كوش ببلاد النوبة يرجـع تاريخ ظهورها الى حوالى منتصف القرن الثامن قبل الميـلاد وعاصمتها « نباتا » ثم انتقل الكوشيون الى مروى (كبوشية) وظلت مروى عاصمة لهم مدة من الزمان (١)

ثم قامت فى البلاد ممالك اخرى أهمهـــا بالنسبة لهذا البحث الدولة المسيحية المعروفة باسم (علوة) وعاصـمتها « سوبا » جنوب شرق الخرطوم ببضع كيلو مترات ومازالت آثارها باقية حتى اليوم ·

وعلوة هى الدولة التى قامت على أنقاضها الدولة السنارية المعروفة باسم السلطنة الزرقاء ٩١٠ هجـــرية ـ ١٥٠٤ ميلادية وكان على رأس هذه الســـلطنة الزرقاء السلطان الاول عمارة بن عدلان المشهور بعمـارة دونقس أو دنقس

---

(١) الاسلام والنوبة ـ دكتور مصطفى مسعد

وهو كما وصفته وثيقة ال الشيخ عيساوى (١) رجل مكتمل الخلق والخلق قوى البنية ذكي الفؤاد وشجاع مقدام ، وكان قبل تصديه للسلطة يقيم فى النيـــل الازرق في المنطقة المعروفة ب « خور العلكو » (٢)

كان يقوم بتدريس القرآن وعلوم الفقه والشريعة المتيسرة فى ذلك الزمان ولما تجمع حوله عدد من النـاس مال اليـه أيضا زعماء القبائل حتى ضاق بهم المكان • ثم انتقلوا الى منطقة جبل موية ، وسقدى غربى سنار وبعد أن استقر أخذ يخاطب زعماء العشائر الاخرين في شمالى البلاد ومن حسن حظه أن لقى رجلا مقداما أشد منه حماسة وأكثر نفـــرا ذلك هـــو الشـــيخ عبـــد اللـــه القـــرين

القواسمى ، المشهور بعبد الله جماع • حيث جمع القبائل العربية ووحد كلمتها واقتحم بهم « سوبا » وكان القضـاء المبرم على تلك المملكة بواسطة عمــــارة وعبد الله ومـن والاهما من العشائر العربية وغيرها •

ثم تشاوروا فى كيفية ادارة هذا القطر الواسع فتم الاتفاق على أن يتولى الشيخ عمارة ادارة الجزء الجنوبى من البلاد •

ويحد من الشمال بمنطقة (أربجى) جنوب الحصاحيصـا الى منطقة بني شنقول فى الجنوب الشرقى وغـــربا حـتى ممالك النوبة •

---

(١) علمت مؤخرا أن الوثيقة قضى عليها حريق شب في المكان

(٢) خور العلكو ـ رافد يصب فى النيل الازرق شمال سنار

وشرقا حتى بلاد « التاكا » والقدين (١)

أما الشيخ عبد الله جماع فوقع عليه عبء ادارة الجزء الشمالى الذى يبدأ من أربجى والى الحدود الشمالية بالقرب من صعيد مصر وشرقا حتى حدود سواكن وغربا حتى المسبعات ـ شرق كردفان ـ أو نحو ذلك ٠

وأصبح السلطان الاول عمارة دونقس والثانى عبد الله جماع كما تقول أغلب الروايات ٠٠ ثم شرع كل منهما يضع البرامج والخطط للنهوض باقليمه فملكا الملوك وعينا المشائخ والمقاديم والجند والعسكر ونحوهم من الاعوان الاداريين فى ذلك الوقت ، وأصبح الاقليم الجنوبى يعرف بمملكة الفونج والاخر بمملكة العبدلاب ٠ الاولى عاصمتها « سنار » ٠

وعاصمة العبدلاب اختاروا لها المكان المعروف بالعقبة « قرى » وهى قرية تقع شمال (الجيلى) فى يمين النيل عند سفح جبل « الرويان » بالقرب من شلال السبلوقة ٠ ولم يبق من « قرى » اليوم الا اشارات على قمة الجبل وضريح الشيخ عجيب المانجلك ابن عبد الله جماع السلطان الثانى وهو أشهر سلاطين العبدلاب قاطبة ٠ ولا يخلو المكان من بعض قرى العبدلاب المتفرقة ـ مثل دبك ـ ود البصل ٠

---

(١) القدين ـ كانت فى الماضى ارض سودانية ثم صارت اليوم تتبع لارتيريا

خراب سوبا الاول

تدع مولانا الشيخ الفحل الفكى الطاهر يحدثنا عن خراب سوبا (١)

قال : كان الامير مسمار قد ارتحل من باره ونزل العرشكول بقصد جمع كلمة عموم العرب وحرب ملك سوبا فسعى وما تم له ما أراد فخلفه ابنه الامير صبح فجد واجتهد واجتمع بمشائخ العرب من قحطان وتوفى فخلفه ابنه الامير حميدان وفى صيف سنة ثمانمائة واحدى وثمانين تم الاتفاق بين أمراء قبائل قحطان الامير حيدر بن أحمد بن حمد بن الامير رافع بن الامير عامر ، عبد الله القرين ولد فرح أحمد ولد حمد ولد الامير رافع ولد عامر وبين الامير حميدان ولد الامير صبح ولد الامير مسمار ولد الامير سرار على أن يغزوا عاصمة الفونج والنوبة فى مملكة علوة «سوبا» وفعلا نهض الامير حميدان بجيشه من جبل العرشكول وعبر النيل الابيض « بمخادة » أبوزيد وفى سهل الجزيرة التقى بقبائل قحطان بقيادة الامير حيدر بن الامير أحمد ومن هناك أخذ الادلاء يقطعون الجيوش « بالمخادات » ووصلوا بلاد علوة واشتبكوا مع العنج والنوبة فى حرب ضروس ومنازلات دامت أياما متعددة وهيأ الله للعرب أن حصل بين الملك والبطريك ديرى بنى اختلاف ومفارقة فانهزما وآلح العرب على الملك عفايق فهزموا جيشه وقتلوه ولم يتعرضوا للكنائس بأذى بل تركوها موفورة الكرامة وكانت الكنائس

---

(١) تاريخ واصول العرب بالسودان ـ الشيخ الفحل الفكى الطاهر ١٩٧٦ ـ دار الطابع العربى

اربعة . كنيسة النيل على الشاطىء وآثارها موجودة وأخرى عند قصر الملك وثالثة هى التى وجد الشيخ عبد السلام ولد كبيدى فيها في المدخل تحت الارض باب أو غشاء باب من ذهب ورابعة وهى كنيسة المربعات أما البطريك فانه هرب ولم يتبعه العرب وبعد قتل الملك قسموا بين الناس الغنائم واتفقوا على أن يكون النيل الازرق من كركوج الى آخره ملكا لقبائل قحطان وسمى البحر الجهنى ومن كركوج ملكا للجعليين وسمى بحر الجعليين ودام هذا الى مجىء الاتراك سنة ١٢٣٦ هجرية وبعدما انتهت الحرب رجع الامير حميدان الى مقر ملكه جبل العرشكول وهناك عين ابن أخيه ابن عمه الامير حاكم بن سلمة بن سعد الفريد بن الامير مسمار واتبعه جيوش جرارة وأمره بحرب النوبة العليا فاحتل أولا مملكة النوبة السفلى ومحلها البجراوية واحتل النوبة العليا وعاصمتها مروى وبعد وفاة الامير حيدر عاد البطريك ديرى بنى الى علوة وعمرها وكان قد جمع جيشا كبيرا من النوبة والاحباش ـ وكان يقوم بمصاريف الجيش من ذخائر الكنائس وبعد وفاة الامير حيدر أصبح الامير عبد الله القرين صاحب الامر .

اختلاف الامير القرين وأمراء جعل

قلما اختلفوا جمع القرين أعيان عشيرته وقال لهم نحن أحق بالبلد من الجعليين ، والجعليون ملكوا الجزائر والبلد لحد دنقلا أرى أن نحاربهم ونطردهم من البلد فما وافقوا على هذا الرأى وقالوا اذا حاربت الجعليين ـ يهلكوا العرب ويقوموا النوبة يملكوا البلد وما يراعوا العرب لانهم موتورن والصداقة بيننا وبينهم ذهبت من يوم قتل الملك ورجاله فى سوبا فهنالك أخذ الامير عبد الله القرين طائفة من رجاله وأهله وذهب الى جبال البرون حيث اجتمع بالملك عمارة دونقس ولد الملك عدلان وضمن له الملك عموم البلد وتعاهدا على أن يكون للملك عمارة وأهله الملك وللامير عبد الله القرين وأهله قيادة الخيل وجباية الاموال وفى سنة ٩١٠ هجرية نزل الملك عمارة دونقس ـ من الجبال ومعه عشيرته الكثيرة العدد واختط سنار بواسطة الامير . وفى هذه المدة قوى أمر علوة وقتل الشويحات فى باره واحتل البحر الابيض وكردفان وملك التاكا ـ أى كسلا ـ وملك البحر الازرق .

خراب سوبا المؤيد

وفي هذه المدة قوى أمر علوة واتخذوا ملكا والبطريك ديرى بنى هو الكل فى الكل والمدبر لامر الملك والكنائس واتخذ البطريك جيشا قويا من النوبة والاحباش والبجا وكانت عنده ذخائر الكنائس ينفق منها وفى سنة ٩١٠ هجرية جرد الملك عمارة دونقس جيشا كثير العدة والعدد وجمع الامير عبد الله كل قبائل العرب وقصدوا مملكة علوة فقام البطريك يحرض أصحابه ويغريهم ان أصبح ، ووعدهم بالنصر وكانت الحرب باسم الدين فلولا حسن قيادة الامير عبد الله القرين ومعرفته الحربية وشجاعته الزايدة لتم نصر النوبة وأهلكوا العرب والله قدر نصر العرب بأسباب منها حصر النوبة وقطع المؤونة عنهم والثانى أن الخيل كرت .

وقتل البطريك ففت ذلك فى عضد النوبة فانهزموا وتبعهم العرب قتلا وأسرا بذلك تم خراب سوبا المؤيد فحرق العرب البلد والكنائس وقتلوا وسلبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال وذلك خراب سوبا المؤيد لم يشهد التاريخ خرابا مثله لانها بعد أيام قلائل وأصبحت البلد بعد العمار خلو من كل ساكن وحيطان تصبح فيها اليوم وهابها العرب وقالوا انها مساكن الجن حتى جاء الشيخ حسوبة ولد حسن من بربر فسكنها وولد من بعده ولد عبد الله ولد محمد ولد زروق .

وهذا المقال وان اختلفت أزمان الحياة ببعض ليتم للقارىء معرفة خراب سوبا هذا ما سمعته من القعيدان الحاج حامد

كبيدى من سوبا الشرق والشيخ على ود عيد من سوبا الغرب . انتهى حديث الشيخ الفحل .

اسم الفونج

يزعمون أن اسم الفونج أطلقه عليهم الشلك فى زمان سابق وتقول الرواية أن الشلك انحدروا من البحيرات الجنوبية صوب الشمال الى أن انتهوا عند عشيرة تسكن المنطقة الواقعة عند « الرنك » فتزوج كبير السلك من تلك العشيرة وأنجب ولدين ولما شبا عن الطوق دب خلاف بينهما وبين خؤولتهم أدى الى حرب كان النصر حليف الشلك الذين أخرجوا تلك المجموعة من ديارهم الى الشمال والشرق وصاروا ينعتونهم بالفنج أو البنج وهو الغريب بلغة السلك وصار الاسم علما لقبيلة فيما بعد . والشلك أحيانا يتجاوزون فى استخدام هذه الكلمة ويطلقونها حتى على جيرانهم من القبائل النيلية مثل الدينكا والنوير .

ومن الروايات التى سمعتها أن عمارة دونقس تزوج بامرأة كانت تسمى « فونجة » واليها ينتسب الفونج .

وعمارة دونقس وأسرته يزعمون انهم من « الامويين » أحد بيوتات قريش المشهورة وان جدهم « فر » من جزيرة العرب عند سقوط الدولة الاموية واستقر به المقام فى هذا الاقليم وتزوج بالسيدة فنجة جدة عمارة دونقس والفونج فيما بعد .

العبدلاب (١)

أما العبدلاب ـ فان النسبة واضحة لجدهم وكبيرهم

(١) نسب الحلاوين ـ للشيخ محمد على الطيب

عبد الله جماع بن السيد الباقر بن السيد رافع وهو من عرب القواسمة الذين ينتمون لجهينة « الاشراف » حسب رواياتهم ، وكان كلا الزعيمين صاحب عاطفة دينية صادقة هي التى كفلت لهما الوحدة والاتحاد وظلت هذه الجذوة الدينية متقدة فى نفسيهما وسار الولاة والسلاطين على هديهم كل حسب جهده وطاقته الى أن دالت دولتهم . ودعما لهذا القول أنقل هنا فقرتين من المراسيم التى كان يصدرها ملوك ذلك الزمان وواضح فيها أنهم كانوا يحكمون وفق شرائع الدين الاسلامي الذى لم تكتمل صورته فى أذهان الناس وقتذاك بالشكل والقدر الذى يعرفه فقهاء اليوم .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى بلغ الرسول ونحن آمنا بما يقول .

حجة سلطانية ووثيقة ملوكية بمدينة سنار المحروسة المحمية اجلها الله تعالى لدى متوليها سلطان المسلمين وخليفة رب العالمين القائم بأمور الدنيا والدين المستنصب لمصالح المسلمين ، وناصر شريعة سيد المرسلين ، وناشر لواء العدل والعقل على كافة العالمين من أصلح الله به العباد وأنار به البلاد . وقابع به أهل الكفر والمكر والعناد . وأهل الظلم والفساد ورحمه الله سبحانه وتعالى للحاضر والباد . الواثق بالملك العدل . السلطان بن السلطان . . السلطان المظفر المعان السلطان بادى ابن المرحوم السلطان طمبل ـ الخ .

أما المرسوم الثانى فمن أحد سلاطين العبدلاب هو عبد الله ابن الشيخ عجيب هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وثيقة مضمونها وحاصلها فيها شهادة ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان فريد عصره ووحيد دهره فى الافاق وشمس الدائرة على الاطلاق الشيخ عبد الله بن الشـــيخ عجيب سلطان ملكية شندى المحمية المحروسة بالقوة القهرية والقدرة الازلية بجاه خير البرية تقبل الله ثراه وجعـــل الجنة منزله وناديه آمين ٠

أما بعد فانى قد تصدقت ووهبت لله ورسوله هذه البقعة لصاحب بن صالح البطحانى الخ ٠٠ بتـــاريخ سنة ١١٥٤ هجـــرية ٠

السلطان سـليم

فى أواخر سنة ١٥١٧ زار السلطان العثمانى ســـليم مدينة سواكن وكانت عندئذ فى حوزة المماليك ، وهـــم السلطان بعد أن سمع بقيام الدولة السنارية أن يغزوهـــا وفعلا أرسل الرسل للشيخ عمارة دونقس أن يدفع الخراج أو الجزية والا فالحرب والمناجزة ٠

فرد الشيخ عمارة دونقس على السلطان التركى ردا لبقا وكان أهم شيء فيه ارتكازه على العقيدة الاسلامية ٠ ومن قوله فى ذلك الخطاب المشهور ، لا أعلم ما الذى يحملك على حربى وامتلاك بلادى فان كان لاجل تأييد الاســـلام فان أهل مملكتى عرب مسلمون يتدينون بدين الاسلام وان كان الغرض كسب المال فأعلم ان أهـــل مملكتى عرب بادية هاجروا الى هذه البلاد فى طلب الرزق ولا شيء عندهـــم تجمع منه الجزية أو الخراج ثم جمع العلماء والنســـابة



(فاتح مصر والسودان سلطان سلیم دادگر ٭ قهرمان شیردل دارای اسکندر سیر)
(هپ جهانگیران دوران مهریا شایاندر ٭ ایتسه تصویر همایونیله تنویر بصر)

وولى عليهم العالم المشهور « السمرقندى » فبوبوا أنساب عموم العرب بالبلاد (١) .

ودفع بوثيقة النسب مع خطابه المشار اليه آنفا للسلطان سليم فتدبر السلطان سليم الامر وعدل عن حرب مملكة سنار .

وهكذا ظل سلاطين الفونج يلوذون ويحتمون بالدين كل ماحزب بهم أمر .

وهذه العاطفة الدينية هى التى جعلتهم يهتمون بأمر الدين والعلماء والصالحين حتى نال المشائخ وأرباب التصوف مالم ينله غيرهم . فى هذه البيئة التى تحتفى بالعلماء والصالحين ولد شيخنا العلامة فرح ود تكتوك والحديث عن الشيخ فرح مع شح المصادر العلمية وبعد المسافة الزمنية بيننا وبينه ليس بالسهل الميسور لاننا أزاء شخصية فذة قليلة المثال والنظير وقبل الحديث عن سيرته وأثره أرى تقديم نبذة عن عشيرته .

والـدته

ونبدأ بأمه لان نسبه من جهة أبيه واضح لجميع الناس وحسبنا حديث الشيخ عن عشيرته البطاحين كما سيأتى

أما أمه فجميع الرواة متفقون على اسمها « النتيلة » بنت حوطى أب قرون وينسبون حوطى هذا لاسرة الشريف حمد أب دنانة ؟!

وقد وجدت رواية مغايرة لهذه تماما فى مخطوط الشريف

---

(١) راجع ـ جغرافية وتاريخ السودان ـ لنعوم شقير

يوسف الهندى ·

ان أم الشيخ من قبيلة « تكيم » النوباوية وتسكن القبيلة جبل البرين أو اليرين جنوب تقلى ·

ونسب المخطوط للشيخ فرح هذا القول عن امه :

أنا فرح
وأمى من تَكَم تِكِيم
الكافر العِجِمى
يا الهى أنقذ تِكيم
من نار الجحيم
وأسكنهم جنات النعيم

وقد سبه الزبالعة وعيروه بسواد أمه · وقد ذكر الشيخ الطيب ود سالم رواية البطاحين بالمناقل وذكر أيضا بعض البطاحين أن الشيخ فرح كان أسود اللون والسواد مع النباهة والنجابة مما يمدح به الرجل فى البيئة السودانية ويظن بعض أهل السودان أن كثيرا من الابطال النابهين الذكر كانوا على قدر (من السواد) مثلا بعانخى ـ عنتره ـ أبوزيد الهلالى ـ طارق بن زياد ـ عمارة دونقس ـ خوجلى أبو الجاز ـ أزرق توتى الخ ··· ثم فرح ود تكتوك ولعل فى تكريم السواد هذا اعتراف ومزج وربط بين العيصرين العربى والافريقى الذى تم عبر قرون عديدة · والعرب فى جزيرتهم وفى سالف أيامهم وحاضرها عرفوا سواد البشرة وسمرتها وخضرتها كما نعبر ـ هذا وقد عثرت فى مخطوط الشريف الذى ترجم للشيخ بدوى ود أب صفية الصالح المشهور « بالابيض » ١١٨٠ ـ ١٢٥٦ هـ وكان الشيخ بدوى

من دعاة التبشير الاسلامي وحكوا أنه في احـدى غزواته لجبال النوبة ضل الطريق فقال لاصحابه أتركوا هذا الجبل اكراما للشيخ فرح لان آمه من هنا ٠

البطاحـين

عشيرة ذات شوكة وذات قوة ومضاء والبطاحين من القبائل النادرة التى جمعت بين ظاهرتين اجتماعيتين عـلى طرفى نقيض هما الظاهرة الدينية المتمثلة فى كثـرة الاولياء والصالحين وأذكر منهم على سبيل المثال المشايخ الشيخ نعيم الاجواد ـ الشيخ طه الابيض ـ الشيخ فـرح ود تكتوك ـ الشيخ عبد الباقى جبل الحديد ـ الشيخ الحـاج يوسـف (دهاشة) الشيخ طلحة وغيرهم ٠ والظاهـرة الثانية ذات صبغة بدوية تتمثل فى حبهم وممارستهم لحياة الصعلكـة (الهمبتة) وهم على رأس القبائل التى مارست الصعلكـة دهرا طويلا ٠

ولعل فى الجمع بين الظاهرتين دعوة هامـة للمهتمين بالدراسات الاجتماعية والانتربولوجية لاكتشاف مكنون هذه القبيلة ذات البساطة والكرم (١) ٠

والبطاحين ينتمون الى المجموعة الجعلية فنسبهم يرتبـط مع الجعليين عند سمرة وسمير أبناء كردم بن أبى الديـس فجدهم سمرة وجد الجعليين سمير ٠

ويبدو أنهم انشطروا عنهم فى وقت مبكر واتجهوا شرقـا الى أن استقروا فى أماكنهم الحالية وقد أورد ود ضيف الله

---

(١) راجع مقدمة كتـاب [من أدب البطاحين الشعبى] معهـد الدراسـات الافريقيـة والاسيوية

في ترجمته للشيخ بدوى ود أبو دليق قال رأى الشيخ بدوى رؤية منامية أمر فيها أن يسكن الارض الحمراء مع الناس الحمر فالارض الحمراء « قلعة النجفة » والناس الحمر هم البطاحين (٢) ·

ومعنى هذا أن البطاحين كانوا يقيمون فى هذا المكان منذ عهد بعيد جدا وقبل هذا أسسوا رئاستهم المركزية فى جبال القنن والفرش (فرش القنن) وكان على قمة هذه الرئاسة « العبادلة » رهط الشيخ فرح الذين انقض عليهم الشكرية والمرغوماب فى مطلع القرن الحادى عشر وقضوا عليهم قضاء يكاد يكون مبرما وصار يضرب بمن بقى منهم المثل فيقولون لمن يترك شيئا قليلا من زاد ونحوه يقولون له هذه (فضلة عبادلة) ومن بقى منهم حيا اتجه نحو سنار والجزيرة ومنهم القدوراب فرع الشيخ فرح · واستقروا جنوب شرق مدينة سنار القديمة فى المكان المعروف وقتذاك « بمشرع الحجيرات » وتسمى الان عمارة البطاحين وأغلب الروايات أن الشيخ فرح ولد هنالك فى منتصف القرن الحادى عشر الهجرى وفى رواية النسابة البطحانى الشيخ الطيب ود سالم المقيم بالمناقل أن الشيخ فرح جاء لسنار صغيرا مع أسرته من منطقة البطاحين ·

ثم درس القرآن والفقه وعلم العربية على عدة مشائخ أهمهم أرباب العقائد والخطيبان عمار وعبد اللطيف (ابنه) (١)

ثم شرع ينتقل كعادة أهل زمانه بين الشرق (والهوى) طلبا للعلم والمعرفة ·

---

(١) النجفة ـ مكان يقع غربى ابو دليق

أساتذة الشيخ

عندما راجعت قائمة المشائخ الذين درس عندهم الشيخ فرح تبينت أنهم من أشهر المشائخ فى تلك الحقبة علما وسلوكا ·

وأنقل فيما يلى بعض فقرات من ترجمة ود ضيف الله لاولئك المشائخ وما رواه لى بعض المواطنين الذين يهتمون بسيرته · قال ود ضيف الله عن مشائخ الشيخ فرح ·

أرباب العقائد

أرباب بن على بن عون بن عامر بن صبح · ويسمى الخشن لخشونة جسمه من الوضوء والغسل · ويسمى أرباب العقائد أخذ علم الفقه من الشيخ صغيرون وتعلم علم العقائد من الشيخ على ولد برى خدمه ودعا له على قريجة فنفعه الله تعالى بعلمه وشدت اليه الرحال فى علم التوحيد والتصوف وبلغ عدد طلبته ألف طالب ونيف من دار الفونج الى دار برنو · تلامذته وتلامذة تلامذته · وألف كتابا فى أركان الايمان وسماه « الجواهر » انتفعت به الناس شرقا وغربا · وتلامذته هم شيوخ الاسلام منهم الحاج خوجلى والفقيه حمد ود أم مريوم والفقيه حمد بن حتيكه والفقيه محمد بن ضيف الله والفقيه هارون بن حص والشيخ فرح ولد تكتوك والقرشى الصليحابى وخلايق لاتحصى وجلس للتدريس بعد شيخه وتوفى سنة اثنين بعد المائة والالف ببندر سنار ·

الخطيب عمار

أما شيخه الثانى فهو عمار بن عبد الحفيظ وأمه بنت اللبدى ولد بسنار وسافر الى مصر والحجاز لطلب العلم

والحج وقرأ سائر الفنون الفقهية والعقلية والنقلية وعلم النحو واللغة والاصول والمنطق والتصوف ٠

وسائر الفنون ، وأمره شيخه يحيي الشاوى المغربي بتحقيق علم العربية والفقه وسائر الفنون ، فلما عاد من مصر أحضر معه نحو رحلين أو ثلاثة من الكتب ٠

وقد وجدت بخطه وكان سفرنا من سنار لطلب العلم بالازهر والحج يوم الجمعة بعد العصر خامس عشر فى رمضان سنة سبع وسبعين بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ٠

قصة ود أبو خنيجر

بلغ من ورع عمار أن محمد ولد أبو خنجر من الحلفاية أهدى له رحل قمح فقبله منه ثم بالعام الثانى جاءه فقال له عندى دار عليها خراج السلطنة ، بدورك تطلب الشيخ عجيب يعفاه لى ٠ فكلم الشيخ فعفاه عنه ٠

ثم قال له شيل رحلك ماعرفت وجها آكله به ٠ فوجده العنكبوت بنت فوقه ٠

وبلغ من ورعه أنه تزوج فاطمة بنت سالم وكانت صاحبة دنيا عريضة عيلتها تجار يتاجرون مع الهند والريف ومكث معها سبعة وعشرين سنة ما أكل لها طعاما ولا استصبح بمصباح ٠ وقال أصل مالها فيه حق الوراثة ٠ وأنا أخذت ذاتها فقط ٠

وعمار هذا أخذ العلم من الشيخ محمد بن سرحان العودى وأمه فاطمة بنت جابر بن عون الله بن سليم بن رباط بن غلام الله ولد بالجزيرة « ترنج » بمنطقة الشايقية ـ جمع

بين العلم والعمل والفقه والتصوف .

وشيخ عمار هو محمد بن سرحان المشهور ب « صغيرون » وصغيرون تلميذ الشيخ اسماعيل بن جابر .

الخطيب عبد اللطيف

ومن الروايات الشفهية أن الشيخ درس أيضا عند الخطيب عبد اللطيف بن عمار وقد ترجم له ود ضيف الله قال :

عبد اللطيف بن الخطيب عمار ولد بسنار وولى الخلافة مكان أبيه . هو شيخ الاسلام الفقيه النحوى ـ اللغوى ـ الاصولى ـ المتكلم ـ المنطقى ـ المجود للقراءة ـ المجتهد فى مذهب الشافعى ، حج الى بيت الله الحرام لنكبة حصلت عليه من السلطنة وجاور بسببها واجتمع بعلماء المغرب والحجاز والتكرور ودرس فى جميع الفنون . فلا يوجد فن بين الناس الا ويقال أنه فرد زمانه فيه . ومدحه بعض علماء الحرم ومدحه شيخه فى علم المنطق نور الدين اليمنى بقصيدة قال فيها :

ابن عمار همام ماهر
حبذا من ملجأ للخائفين
داره أصبحت بالعلم روضة
فادخلوها بسلام آمنين

وقال أيضا فى قصيدة له أخرى :

عالم بأنواع العلوم بأسرها
حوى فى الورى المعقول مع وارد النقل

أما مشائخه فى القراءة فهم جماعة أشهرهم الشيخ محمد

ود الطريفى العركى ·

نسب الشيخ

فرح تكتوك بن محمد بن عيسى – بن قدور بن عبدل – ابن عبد الله بن محمد الابطح (وهو الذى تنسب له البطاحين) ابن سميرة بن سرار بن كردم بن أبى الديس بن عبد الله المشهور (بحرقان) بن مسروق بن أحمد اليمانى بن (أبراهيم جعل) بن ادريس بن قيس بن يمن (الخزرجى من أمه بن عدلان بن قصاص بن كرب بن هاطل بن باطل بن ذو الكلاع الحميرى (من أمه) ابن سعد الانصارى بن السيد الفضل ابن السيد عبد الله بن راسخ ابن عباس بن عبد المطلب ·

ويؤكد كل هذا الشيخ الفحل الفكى الطاهر الكاتب المؤرخ (رحمه الله) وهو من القلائل الذين كتبوا عن تاريخ العرب وأنسابهم فى السودان وله مخطوط طبع سنة ١٩٧٦ وقد اعتنى الشيخ الفحل بصفة خاصة بتاريخ البطاحين الذين تربطه بهم أواصر قوية ·

تكتوك

أما كلمة تكتوك فأغلب الظن انها لقب أطلق على والد الشيخ ثم لحق بالابن فرح · والشيخ فرح يذكر ذلك فى شعره وأقواله الاخرى (أنا فرح ود تكتوك) وجاء فى الشعر قوله :

أنعم لتكتوك أبيه وأمه
واخوانه والاهل من سائر النفر

ورواية أخرى تقول : ان أحد المشائخ دعا على فرح حينما كان طالبا عنده وذلك اثر انجازه عمل خاص فسقط مغشيا عليه وصار صدره يتكتك فلقب بتكتوك ـ وقـــول ثالث أن الجالس معه يسمع « تكيك » صدره لانه ظل يقـرأ القـرآن دومـــا .

ميلاده ووفاته :

ولما لم أجد قولا قاطعا يحدد تاريخ ميـــــلاد الشيخ فانى أسوق هذه الشواهد لعلها تقرب لنا تاريخ ميلاده : ذكـــر ود ضيف الله فى ترجمته للشيخ أرباب العقائد (أرباب بن على الخشن) من تلاميذه الشيخ خوجلى بن عبد الرحمـــن (أبو الجاز) وحمد ود أم مريوم وفرح ود تكتوك ومـــن المعروف أن شيخهم أرباب العقائد توفى سنة ١١٠٠ هـ معنى هذا أن الشيخ ربما كان مولودا فى منتصف القرن الحـادى عشر وهذا تعضيد لما ذكره لى أحفاده أن الشيخ بلغ مائة سنة وبضع سنوات أما تاريخ زميليه فى الدراســة فحمـد ود أم مريوم ميلاده ١٠٥٥ ووفاته ١١٤٢ هجـرية كذلك توفى الشيخ خوجلى سنة ١١٥٥ .

وجدت عند السيد فرح القاسم (بكساب الجعليين) وهـو من أحفاد الشيخ فرح مخطوطا كتبه محمد بن محمد تلميـذ الشيخ ، ومحمد هذا مدفون مع الشيخ فى مكان واحد وجدت فى مخطوطه ما نصه :

ان الشيخ فرح توفى بسبب الحمى التى قامت عليه خمسة أيام توفى بالاحد أول الظهر فى اليوم العشرين من شهـــر الله ربيع الثانى سنة ســـبع وأربعين بعد المائة والالف ،

١١٤٧ هـ وذلك بعدما صلى الظهر وتشـــهد وقرأ سـورة الاخلاص ثلاث مرات وتم دفنه في ظهـــر الاثنين بمشرع الحجيرات وهو مكانه الحالى ٠

وله من العمر مائة وبضع سنوات ٠

ويفترض أن ظهور الشيخ فرح على عهد ولاية السـلطان بادى أبو دقن من ملوك الفونج العظام ٠

اشتهر بادى أبودقن بالشجاعة والكرم وكان عفيفا ومن آندر الملوك الذين عرفوا بهذه الصفة ٠

وكان عابدا حبه موفور لاهل العلم يرسل لهم الهدايا خارج سلطنته لعلماء مصر مع رسوله (أحمد ود علوان) وكـــان الملك بادى أبو دقن مشهور عند علماء مصر فى زمانه معظما عندهم حتى ان العالم الازهرى الشريف عمر المغربى قـــد مدحه بقصيدة طويلة ذكر فيها عظمة سنار ومنها :

به أصبحت سنار فى الانس والصفا

وتاهت على البلدان حتى على مصر

ومن الاخبار المحكية عن سلوك هذا السلطان العظيم آنه غزا جبال (تقلى) ووجد فيها ملكا ليس أقل منه عظمة ولا نبـــلا وكان ملك تقلى يعرف السلطان بادى من خلال الاخبار الـتى تحكى عنه ٠

ولكن الوشاة ومروجو الفتن دفعوا بالرجلين دفعا لخـــوض الحرب ٠

فلما وصلت جيوش بادى لتقلى رجعـــت دون أن تخربها أو

تنال منها شيئا لان ملك تقلى عاملهم معاملة الكرام تقـــديرا لسمعة سلطانهم (بادى) فأرسل لهم الطعام عند وصولهـــم كرما وفضلا · فرجعوادو ن حرب

ما أنبل فرساننا فاطعام الضيف فوق كل واجب حتى لـــو كان الضيف من الاعداء يخوضون المعارك في وضح النهـــار يتقاتلون ـ وفى الليل يرسل الطعام الى عدو ··

هذا الاطار يوضح لنا موقف الشيخ فرح بعد فترة عنـــدما استنجد به رجل سطرود متبوع فنصحه الشـــيخ بأن يختبىء تحت كومة من التبن وعندما وصل الذين كانوا في آثره سألوا الشيخ ان كان قد رآه فأشار شيخنا فرح الى كومة التبنفسخروا منه واستمروا فى المطاردة ·

وخرج الرجل من تحت التبن يرتعش من هول التجربة التى أدخله فيها الشيخ · وكان قوله المعروف :

« **أكان الصح مانجاك الكضب ما بنجيك** »

هذا وقد اهتم الملك بادى بالمعمار فبنى الاســوار حـــول مدينة سنار وكانت له تسعة أبواب ثمانية منها لدخول كبار رجال الدولة من الامراء والقادة والتاسع كان يدخل منـــه عبد الله ود عجيب العبدلابى شيخ مشيخة قرى (١) ·

ومن عدل هذا الملك انه جعل امام كل باب دكة اسمها (مين نداك) أو (منو ناداك) كان المظلومون من الناس يذهبـون ويجلسون عليها دون اذن من أحد فيعرفون ويرسل الملك مـــن ينوب عنه فى طلبهم للنظر فى مظالمهم ورد الحقوق اليهم ·

---

(١) ترتيب هذا الدخول لعله يهم من يؤرخ للدبلوماسية فى السودان

ويعكس هذا الاسلوب فى الحكم الاقتداء بالخليفة عمر عدالة وسندا للضعفاء واحتقارا وعظة للمستغلين والانتهازيين الذين يحومون حول السلطان كصرخة شيخنا فرح فى قصيدته التى يقول فيها :

يا واقفا عند أبواب السلاطين
أرفق بنفسك من ذل وتهوين
وكم جرى طامع فى اليد مغترفا
ولم يجد قصده فى الشام والصين

ان شيخنا الذى عاصر سنار أصبح رجلا لكل العصور فمضمون هذه القصيدة المباشر مازال قضية انسانية !؟ لذلك لايدهشنا هذا الشيخ الجليل فى عفويته المذهلة بل انه يفرض علينا التأمل والاستغراق بحثا عن مصادر عظمة أولئك الاجداد يا شيخنا فرح أى خاطر مر بك وأنت فى مسيرتك اليومية فجرا حولك حيرانك تحملون ·· وأنت على رأسهم ·· فى يد اللوح والاخرى بصماتها مغروسة فى عود (السلوكة) ·

هل ألهمتك سنار ذلك الصباح بأن تتنبأ بعصر البخار والتلفون ··

بعد الحال يبقى
السفر بالبيوت
والكلام بالخيوط (١)

وان أحفادكم سيواجهون بصدوركم وشجاعتكم تحديات ذلك العصر عندما وقفتم فى مقدمتهم عند جبال كررى وسقط

---

(١) اخترع التليفون ـ جراهام بل سنة ١٨٧٥ واخترع القاطرة الاولى المستر ريتشارد تريفيثك سنة ١٨٠٣

منكم عشرة الاف شـــهيد لتظل راية واحدة خفاقة الـــراية الزرقاء .

السلطان أونسه : ١١١٧ ـ ١١٢١ هجرية

الاطار يتكثف حول صورة الشيخ . الحكـــام يتبدلون . الظروف الاقتصادية تتغير وفى ايجاز شــديد نستعرض المزيد من السلاطين والاحوال التى مرت بها سنار لنتبيـن أكثر عظمة أقوال الشيخ وحكمه .

ثم تولى الحكم من بعد السلطان بادى ابن آخيه السلطـان أونسه الثاني وفى زمنه اشتد القحط وحصلت مجاعـــة عظيمة أكل الناس الكلاب وانتشر فى مـــدة حكمه وباء الجدرى حتى كاد يقضى على الناس وهو صاحب قصة العيش مع الشيخ فرح كما سيأتى :

بادى الاحمر ١١٢١ ـ ١١٦٦

ثم جاء الملك بادى الاحمر وفى أيامه وقعت بعض القلاقل والتمرد ولكنه تغلب عليها ويظهـــر آن الناس قد تأثروا بسنين المحل التى مرت عليهم وجوع الرعية هو آقرب السبل الى ثورتها وعصيانها (١)

وفى أيام بادى الاحمر هذا عاش الشيخ حمد النحـــلان المشهور بود الترابى . ومات أيضا فى مدة حكمه .

وتوفى أيام حكمه الشيخ عبد الماجد ود حمـــد الاغبش وأيضا الشيخ سلمان ود العوضية .

---

(١) راجع ملوك السلطنة الزرقاء ـ محمد رحمة الله احمد

الفصل الثاني

١ ـ الوضع الاجتماعى والثقافى
٢ ـ المـــرأة
٣ ـ زواج ابنته
٤ ـ سلوك الشيخ
٥ ـ أصحابه
٦ ـ العـــلم
٧ ـ مناظـره
٨ ـ الزبالعة
٩ ـ ود بقادى
١٠ ـ الزبالعة فى توتى

الوضع الاجتماعى والثقافى

يا أبانا فرح ود تكتوك مازلنا نتسقط أخبارك بين ضباب الماضى . وقد ذكرنا يا شيخنا فى فقرة سابقة أن سلاطين الفونج كانوا يهتمون بأمر الدين فكانوا يكرمون العلماء والصالحين ويبالغون فى الاحتفاء بهم وكانوا لا يردون لهم طلبا أو شفاعة بل يذعنون لهم كل الاذعان . ومعظم السلاطين كانوا لا يخرجون للحرب والمنازعات الا بعد رأى المشائخ .

ود ضيف الله يحدثنا .. أن الشيخ خوجلى بن عبد الرحمن المشهور بأبو الجاز كيف كانت تقبل شفاعته من غير أن يحضر شخصيا . قال ود ضيف الله ومن أخلاقه أنه لايكاتب السلطنة ولا يرسل اليهم مع كونه كثير الشفاعة والجاه واذا طلب أحد منه القيام الى السلطان ليشفع له عنده يقول له لا أرسل معك تلامذتى ولا أولادى أستودعك الله وخذ

هذه (الطينة) وان صبرت الى أن يأتى الى هذا الظالم أو أحد من أعوانه أوصيه اليه ليشفع لك عنده بأمرى . ولا يقوم الي ظالم في شفاعة • قال الفقيه عبد ادافع قال الشيخ خوجلى ماوقع عندى أشجع من أربعة • أولهم أصول ود جماعة ومحمد ولد كنتوش وعلى ود دفع الله ومحمد ود أبو القاسم شيخ الكاملاب • أما أصول ود جماعة •• اتهموه بزوجة الملك وجاءنى فى الشفاعة فقلت له خذ هذه (الطينة) واستودعك لله فسر ولا تخشى منه قال (على الطلاق) ما أطلب شفاعة غير وداعة الله وطينتك ، فأخذ الطينة وسافر الى الملك فلما رآه قال له عفوت عنك فيما أتهموك به ؟

أما محمد ود كنتوش قيل له الملك يريد أن يقتلك فدخل فى مركب وانحدر (١)فى البحر الى أن وصل الى فقلت له مثل الاول فقبل وداعة الله وأخذ الطينة ومضى اليه فخلى سبيله بمجرد رؤيته ، وقصة الرجلين الاخرين لا تخرج عن هذا المعنى •

كان هذا حال الحكام ثم نهج نهجهم عامة الناس وساروا على منوالهم والناس على دين ملوكهم كما يقولون . يصدقون ويؤمنون بكل مايقوله المشائخ •

فانتشرت المذاهب الصوفية كالشاذلية والقادرية ثم الباطنية والزبالعة وغيرهم • والناس عندئذ لا سبيل لهم ليصلوا الى منابع الاسلام الصافية الخالية من الشوائب والزوائد بسبب الجهل المستشرى وقلة علماء السنة الذين

(١) انحدر ـ الانحدار السباحة تبع التيار أو الذهاب معه بالمركب

كاد يضيع صوتهم وسط جلبة المشائخ وضجيجهم ..

فركن الناس وصاروا يصدقون أمر الكرامات والمكاشفات وكانت أهم أحاديث المجتمع اليومية هى الكرامات وغارات الاولياء بعضهم على بعض وأصبحت الكرامة أمرا لا ينكره أحد الا عدوه مجنونا خارجا على اجماع الناس . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان عامة الناس ظلوا على حالتهم البدوية ومازال ولاؤهم للقبيلة أكثر من الدولة وكانت تسمى تلك الايام أيام (القيمان) جمع قوم ولكل قبيلة وعشيرة عصابة تسمى (القوم) تضم قسمين قسم لحماية العشيرة والاخر للنهب وقطع الطريق . وشهد الشيخ فرح على سلوك قبيلته البطاحين الذين كانوا أصحاب يد طولى فى مجال النهب والسلب حيث قال عنهم :

أنا فرح ود تكتوك
أهلى عَبادلة وملوك
بطحانى مَا فِى شِكوُك
وكْتَ الشمِتبقى هِنوُك (١)
أهلى يتَابكوُا فى أم سَمْبوُك (٢)
إن جِيتُن يجوك
وان ما جيتن يجوك
مِنهُن
وبَارى مِنهُـن

(١) الشم ــ ترخيم كلمة شمس
(٢) أم سمبوك ــ الرقبة أو النفس

المــرأة

أما وضع المرأة وحقوقها فكان على حال غير مرض وقد ذكروا أن الشيخ محمود العركى « راجل القصير » بعد رجوعه من الازهر فى نهاية القرن العاشر الهجرى وجد كثيراً من الاهالى يطلقون المرأة ويزوجونها لاخر بعد يوم أو أيام ·

وقد سمعنا أن بعض الصوفية خمسوا وسدسوا كالذى نسبه ود ضيف الله للشيخ « محمد عبد الصادق الهميم » وتزعم احدى الروايات المتكررة أن أحد الملوك « الجبال » واسمه الملك « تيرا » أنجب بنتا حسنا نادرة المثال فهم بزواجها وسأل مجلس شوراه فقالوا له أرسل للفقراء يفتونك فى هذه المسألة فأحاله الفقراء للشيخ فرح ، لعله يجد مذهبا أو رأيا يسوغ به هذا الجواز ·

فجاء رسول الملك تيرا وحكى للشيخ قصة الملك فقال لهم ساخرا ومتهكما :

قل للملك تِيرا
ود الخادِم العويرا
زوجَنا لك بِنتَك الكبيرا
بِى سنة ·· البغال والحميرا

هذا ولما أراد مندوب الملك تيرا الانصراف طلب من الشيخ أن يدعو له بالتوفيق والسداد فى أوبته ·

فدعى له الشيخ ساخرا منه ومن مهمته قال الشيخ :

رفعتَ إِيدَيّاَ
والمولى يقبل ليّاَ
بركة سُكان دَياّ
الشِّعبة القوية (١)
والقِدَّة النَيَّة (٢)
والخترة المَا فيها جَيَّة

وما يحكى عن الفوضى فى العلاقات الاسرية قصة « كرنكه » الفونجاوى عندما استعان به الركابية فى حرب الشكرية اشترط عليهم أن يعقدوا له عقد زواج على حسناء الشكرية المشهورة « عنيبة الموز » وهى فى عصمة رجل رفيع القدر اسمه (حسان ود أب على) ولم يعدم كرنكه من يعقد له على السيدة « عنيبة » ولما التقى الجيشان كان أول من لقى مصرعه (العريس كرنكه) على يد الفارس حسان . وعموما فان الحال غير مرض وقد تحدث الشيخ عن المرأة حديثا فى غاية الطرافة ومع انه وصف حال المرأة فى عصره فان كثيرا من آرائه ينطبق على بعض نساء العصر وهذا ما سأعرض له فى مكانه المناسب . ثم ان من سلاطين الفونج من سن سنة مازالت آثارها باقية حتى اليوم وهى اعفاء المشائخ ومن على شاكلتهم من الضرائب وهى ضرائب باهظة ومتعددة منها السبيبة والشعفة والكليقة والشرايا ـ الخ (١) .

كل هذا يدفعه عامة الناس أما المشائخ فهما ملكوا فلا

(١) الشعبة ـ عصاة لها قرنين يقف عليها الخطيب
(٢) القدة ـ مايقد من الجلد
(٣) وتنسب الحادثة أيضا للشيخ محمد عبد الحى ـ سابع دليب

رقيب ولا حسيب عليهم وقد بلغ بعض المشائخ حدا من الثراء جعلهم ينافسون الدولة ذاتها كالشيخ حسن ود حسونة .

فى هذا الجو المضطرب برز رهط من العلماء الاجلاء الذين التزموا جانب الحق ولم يميلوا عن الجادة وعلى رأس هذا النفر القاضى دشين المشهور (بقاضى العدالة) والخطيبان عمار وابنه عبد اللطيف وعبد الماجد ود حمد الاغبش وحمد ود أم مريوم وفرح ود تكتوك وغيرهم .

وكان الشيخ فرح يذكرهم بالخير وينعى أيامهم البيضاء قال عن القاضى دشين :

وِينْ دِشين قاضى العدالة
الما بميل بالضلالة
الاوْقَد نار الرسالة (١)

وِينْ أولاد جابر
الاربعة الاكابر
جالسين على المنابر
علّملونى المانى خابر (٢)

وِين دفع الله الاديب
المتل لبن الحليب
أحيا البلد نعم الطبيب

(١) وين — عامية بمعنى — أين —
(٢) أولاد جابر من أبكار علماء السودان

نور المساجد للمغيب

دفع الله هو الشيخ دفع الله العركى الصالح المشـــــهور المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ

وين ود الطِّريفى
المتل لبن الخريفى
ماسِك طُرق الشريفى «١»

وين ود الترابى
وين أب قصة القطابى «٢»
أهل الله القرابى
كلهم سكنوا الترابى

ود حسونه كم بحفِّر
يكتر الكسرة وينفِر
الدنيا المآ بتَوفر
بالفسل والزين تَدفِّر «٣»

ود حسونة هو الشيخ حسن المشهور بود حسونة المتـوفى سنة ١٠٧٥ هـ

وكما أشرت أيضا للفوضى والاضطراب فان الشيخ فرح أسهم مساهمة كبيرة فى محاربتها رغم معارضة كثير من المشائخ لسلوكه كما سيأتى ٠٠ ولعلنا نوضح ذلك من خلال وقـــائع بذاتها ٠

كما سيأتى ٠٠ ولعلنا نوضح ذلك من خلال وقائع بذاتها

(١) الشيخ محمد ود الطريفى من اعلام العركيين

(٢) اب قصة هو الشيخ موسى اليعقوباب

(٣) ود حسونة الصالح المشهور

زواج ابنتـــه

هذا ولما بلغت بنته « ضوة » مبلغ النساء خرج بهـــا فى الطريق ولما تكاثر الناس حوله صاح بهم :

مِنْ دَاير حمامه
قبالّ تحصِل نَدامه
النسوانْ شرمُوْط كرامه
زوجوهنَ يا وَهَامَه

فعل هذا الشيخ فرح ود تكتوك ليقتدى الناس بسـلوكه وهى قطعا دعوة مبكرة لتسهيل الزواج وللشيخ بنت واحدة كما هو معروف وبنت الشيخ فرح أحرى آن يتزوجها أعظم الرجال ولكن الشيخ يضرب المثل بسلوكه هذا ·

واستمر فى صياحه بهذه العبارة وهو يشرحها لمن يسـأله عن معناها · وكان يقصد بها تزويج بنته لمن يطلب يدهـا لان ما لايحمد عقباه فى تأخير زواجها · وأخيرا عنـــدما انتهى من طوافه بكل الناس تبعه شخص وقال له : أريد يد ابنتك · ففرح الشيخ وسرعان ما آتفقا على الزواج وآخـــذ منه الشيخ مهرا رخيصا مقداره « رحل عيش » وهو مهـــر يقل عن مثيلاتها من بنات الحى ··

ثم حدث أن غضبت بنته من زوجها وجاءت الى آبيها تشكو منه وتطلب الطلاق فاستمع الى قولها ولاطفها وهدآ مـــن غضبها وقال لها :

أمِليلُو جَفوّ
وأمسحِيلُو خُفوّ
وإن أباك الله يَكفو

ثم اختلى بزوج ابنته فحادثه ونصحه بطريقته الخاصة

املاَلاَ مُصرانا
وبَرَّد لها أضانا
شوفا أكان تَطْرانا

وعندما شكت منه مرة أخرى قام من مكانه وذهب بعيدا يحمل ابريقا وعاد بعد لحظة وهو يبكى ويتألم مما حدث له ... فسألته بنته عن سبب ألمه وبكائه فقال فى بساطة وسذاجة : أبكى وأتألم لان ابريقى انكسر . فتعجبت بنته وقالت بدهشة عجيب منك يا أبى _ أن تحزن لكسر ابريق من الطين تجد غيره بسهولة . فرد بأسلوب بسيط فيه حكمة ممزوجة بأسف وحزن عميق : لا أتألم من كسر الابريق وانما يحزننى أن أفقد ابريقى « الذى رأى عورتى مدة سبع سنوات حفظ فيها سرى » وأخاف أن أستبدله بآخر يكشف عورتى من جديد فلحظت البنت مايريده أبوها من ضرب هذا المثل ورجعت الى بيت زوجها راضية (١)

ود ضيف الله والشيخ فرح

هذا وكان الشيخ على خلاف مع أغلب المشائخ فنبذوه ورموه بالخروج على الجماعة وبعضهم أساء لسمعته ويبدو أن ذلك قد أثر على ود ضيف الله عندما ترجم له _ فهى ترجمة _ لم تزد على بضع أسطر بالرغم من سمعة الشيخ الكبيرة وسيرته الحية . قال ود ضيف الله :

فرح ولد تكتوك البطحانى قرأ العقائد على الفقيه أرباب

(١) راجع كتاب الشيخ فرح ود تكتوك _ أبو القاسم محمد بدرى _ مكتب النشر الخرطوم

ولازم الخطيب عمار وقرأ عليه علم العربية وكان شاعرا ماهرا وكلامه مطرب وجاذب للقلوب وله كلام فى التفسير والتوحيد والادب وخساسة الدينار ورخصتها ونعى فيها جميع العلماء والصالحين وهى قوله وين أولاد جابر ·

وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة ومن كلامه عن الموت :

اليَابَا الموت يبشِرِ بالموت

قيل له الناس اختلفوا هل أشعر أنت أو الشيخ اسماعيل ابن الدقلاشى قال له المزيه لانه الفارس ابن الفارس وأنا الفارس ابن الدراقى حج الى بيت الله الحرام وأسلم على يديه بعض النصارى ودفن «بتريره» انتهى ·

هذا ماقاله ود ضيف الله بضع أسطر عن شخصية كالشيخ فرح الذى طبقت شهرته جميع أرجاء السودان ولا أظن أن شخصا يعيش على ثرى هذا البلد فى منطقة وسط السودان ولا يعرف الشيخ فرح ود تكتوك ولا يروى له حكمة أو يحفظ عنه قولا ، معرفة الناس بالشيخ فرح هى التى تجعل مهمتى سهلة وعسيرة فى آن واحد ·

سهلة لانى أقدم لهم شخصا لصيقا بوجدان السواد الاعظم من هذه الامة وعسيرة لان أقواله وحكمه تعرضتا للحذف والاضافة وقد وردت أقوال عذبة ومفيدة على أسلوبه المعروف · فالعسر ينتج من هنا · لانى ظللت أضاهى بين أحاديث كثيرة نسبت اليه وأخرى قالها نسبت لغيره ·

ومن الامثال والحكم التى صاغها الناس ونسبوها للشيخ قولهم :

آخر الزمن يَجُو الانقِليسَا
عيونهم مِتل الكديسة
يقيسموا الارض قِيسا قِيسا
خفيرِ ن اسموا البوليسا
مايزيل حكمهم الانبى الله عيسى

وقال الناس كلاما كثيرا ونسبوه للشيخ فمنـــه أيضـــا قولهـــم :

آخر الزمان
يجى الغـــزان
وزراعة الاقطان
وولاية النســوان
وشيب الطفلان
وشيل السبحة بلا ايمان
ويضيع القرآن
وتسَـبُّ الاديان
ويكثروا الغوان
ويتقلبوا حكام الزمان
من آن الى آن
ويجى صندوقا ينطق كنطق الانسان
يجيب الخبر من البلدان
يصوم الناس فى شعبان
ويفطرن فى رمضان

وهذا عندى من الاضافات التى قيلت على نمط حـــديث الشيخ ونسبت اليه وهى بلاشك تشبه نبرة الشيخ ولكنهـا

تختلف عن مضمون حديثه لانه ظل يدعو الناس لاستعمال عقولهم ويأمرهم بترك الترجيم والدخول فيما ليس لهم به علم أو دراية ·

ومثل هذا الحديث الذى ينافى سلوك الشيخ حذفت أقوالا وحكايات كثيرة وحسبى ما أوردته ففيه مايلقى الضوء على سيرة هذا الرجل العلم الذى حفر اسمه فى سجل الخالدين وقد عاش حياة حافلة حيث امتد به العمر الى آن بلغ المائة سنة حسب توافق الروايات ·

سلوك الشيخ

قالوا أنه بعد أن حفظ القرآن ودرس الفقه وتعلم العربية بدأ كأهل زمانه ساح ودخل الخلوات وسكن فترة بمنطقة (بنسو) بالقرب من الروصيرص ومن آثاره هنالك الغار الذى كان يتخذه خلوة· وقام عنده اليوم خزان الروصيرص وحكوا أن غاره الاول قام عليه خزان سنار وقيل انه طاف منطقة الفونج قرية قرية وجبلا جبلا وزعموا أن أهل الفونج سموا الجبال التى تبدأ أسماؤها بحرف (الفاء) تيمنا به · فارنجه ـ فازغلى ـ فاقشن ـ فاليد ـ الخ ··

والواقع ان لغة القوم هنالك تجعل (الفاء) أداة تعريف للعشيرة او الجبل ولا صلة لها (بفرح) الا عند العامة · يقولون أيضا أن الشيخ فى أول عهده بدأ بالتصوف وكان يتخبط كغيره من دهماء المشائخ الذين يتعبدون من غير علم ·

وذكروا قصته مع الجماعة الذين لاقوه فى سياحته وسألوه عن صحة عبادته فجادلهم وجادلوه وقالوا انهم أكثر منه

عبادة وخشية . فوضع لهم قصبة من (سيقان) الـــذرة الواهية على فم بئر وقال لهم من كان منكم يعبد الله حقــا فليقف على هذه القصبة فأسقط فى يدهم ومشى هـــو على القصبة بل ووقف عليها برهة طويلة وهو يسبح ويحـــوقل والله أعلم .. وروايات مثل هذه كثيرة ارتبطت به أصفح عنها لان فيها شيء من الخرافة وعدم المعقولية وان كانــت فى زمنها مقبولة ومعقولة .

مايهمنا اعتدال سلوكه ورجوعه للطريق السوى وذلــك بعد أن رأى عبث كثير من المشائخ وتنكبهم الجادة وانشـغالهم بالدنيا وتبطلهم واعتمـــادهم على الاتبـــاع فى كســب الرزق .

رأى منهم هذا وغيره فأنكره بكل جوارحه وانصرف ينحو نحوا آخر كان فيه القدوة الحسنة .

العمـــل

أول شيء فعله وألزم نفسه به الى أخريات أيامه هو العمل (بيده) وكان فيه القائد والرائد وهو أول شيخ فى المجتمع السنارى يخرج من جمهرة المشائخ بفلسفة العمل .

وكان يرمى من ذلك لهدفين أولا توخى الحلال من الرزق ثانيا : ابتكار أسلوب جديد لكسب العيش لم يعهده كثيــر من أبناء ذلك المجتمع الذى يسخر من العمل اليدوى والحرفى وكانت تدور كثير من الحكم والامثـــال عن استهجانه . وأحسب أن ظاهرة الترفع عن العمل اليدوى عرفتها معظـم الشعوب فى طور من أطوار ترقيها وتحضرها ومن الامثـال والحكم التى وجدها الشيخ على الشفاه الاقوال التى تنسب

لود أب زهانة ·

ود أب زهانة

ود أب زهانة شخصية عاشـــت أيام المملكة الســنارية واكتسبت شهرة من كثرة مانسب اليها من أقوال تدعو الى التبطل وتستخف بالعمل وكان تأثيره على المجتمع المحيــط به قد بلغ حدا · أفرز جيلا من الاتباع الذين سعوا لتأخير عجلة الحياة باتباع سبيله وقد أدرك شــيخنا ود تكتوك مايكمن وراء أقوال ود أب زهانة من خطر على المجتمــع ولا سيما أن الشيخ عاصره فى الســنوات الاخيــرة من عمــره ·

ولم يكن فى ذلك مايستغرب فقد كان الشيخ فرح حــربا على المشائخ المتبطلين · بل حتى على الحكام غير المستقيمين نقدهم ووجههم كما سيأتى · كذلك تابع سيرة ود أب زهانة وفند أقواله واستبدلها بالحكم الجادة ولم يكــن مستغربا كذلك أن يكون سلوك ود أب زهانة على النقيض مما جـاء به الشيخ فرح ، فقد نشأ ود أب زهانة فى ظروف عائليــة واتصف بمثالب شخصية حالت دونه وتلقى العلم ، بينمــا نال شيخنا فرح ود تكتوك حظا وافرا من المعرفة ·

تزعم الروايات الشفهية أن المنسدح حمد المنسدح هــو الاسم الاصل لود أب زهانة · ويعتبــر والده من الاثرياء المعدودين حيث كان يملك عديدا من قطعان الماشية ، الابل، البقر ، الضأن الخ ·· ووالده يدعى حمد المنسوح المكــنى أب زهانة ·

والسيدة زهانة هى كبرى كريماته فكنى بها وانتقل الاسم

لابنه عن طريق الارث والشهرة فصار المنسدح بن حمد المنسدح هو المعروف بود أب زهانة . شب ود أب زهانة فى حجر « جدته » فأثرت عليه وعلى سلوكه فى مقبل أيامه .

كانت جدته لامه تحبه حبا جما فحرصت على ألا يذهب للخلوة مثل اقرانه فكانت تأتى له بالمعلم حتى بيتها فحفظ أ ـ ب ـ ت ـ ث ـ ثم الحمد والمعوذتين ثم عزف عن القراءة فتركته ثم ضمه أبوه لرعاة الضأن فمل رعى الضأن وتحول لرعى البقر وهجره بلا حجة وانضم « انقيبا » مع جده « الانقيب هو صبى يتبع راعى الابل » .

فسلاها بلا سبب وعاد لجدته يمارس معها زراعة الجروف وعند طور المراهقة زوجته فأنجب طفلين وهو دون العشرين وحدث مالم يحسب له حسابا اذ توفيت جدته فورث نصيبها وبعد عام لحق بها والده « حمد أب زهانة » فانتقل اليه المال كله وأصبح ممن يشار اليهم بين أثرياء البلد وشاع وطار اسمه بين القرية والبادية وأصبح موضع اعزاز بين عشيرته .

وصارت أيامه كلها نعمة وسعادة وفجاة وبلا مقدمات وتقديم أصيب ود أب زهانة بمرض الزواج .

فظل يتزوج ويطلق ويتزوج ، ورزقه الله عبر تلك الزيجات عديدا من الابناء والبنات يحسبون بالعشرات حتى قيل انه كان لايعرف منهم الكثير الا بعد جهد .

فكانت المرأة تتقدم اليه بطفلها أو أطفالها فلا يعرفهم الا بعد لأى ، والشاهد أن ود أب زهانة كان يملك كل مقومات الاغراء والقبول فهو عزيز النسب عريض الثراء .

ثم هو وسيم خفيف الظل مرح وسريع الخاطر ورغم تلك به مناقص أهمها من الناحية التكوينية البدانة المفرطة أما المناقص الخلقية فهو سميع يسمع ويصدق كل مايقال له صدقا كان أو كذبا وداء السمع والتصديق هو الذى رفع باسمه لعنان السماء ٠

ان قيل له أنت أكبر من ملك سنار صدق ذلك ٠ وان قيل له أنت أعلم من « تاج الدين » لم يشك فى هذا (١)

وان قالوا له ان قارون لايساوى غناؤه وبر ابلك أمن وصدق ٠

ومن آفات ود أب زهانة الاخرى حب الفخر والنفخة حتى بعد أن أتى الدهر على ماله ٠ تعرضت سنار لكوارث المجاعات والاوبئة والحروب فكان فى كل مرة يتعرض الناس للهجرة حفاظا على أرواحهم وممتلكاتهم ٠

وتفرق أبناء ود أب زهانة بهذه الطريقة واختلطوا بجميع أهل السودان فتم التزواج والانصهار ٠

وظنى أن له فى كل بيت من البيوتات السودانية التقليدية صلة رحم وبالتالى ميراث طبع من « جد الجميع » السيد ود أب زهانة ٠

لانى أرى كثيرا من تصرفاته وسلوكه ومأثوراته يتحلى بها حفدته الميامين وغير الميامين على السواء ٠

أقوال ود أب زهانة

خلال فترة الثمانين سنة التى عاشها ود أب زهانة خلف

(١) تاج الدين البهارى هو العالم الصوفى المشهور الذى ادخل الطريق القادرى السودان

كثيرا من الاقوال المثبطة للهمم القاتلة للروح والطموح ، وقد آمن بها بعض أفراد المجتمع وبعضهم أشاعها ولم يعمل بها وغيرهم أضافوا اليها بقصد التهكم والسخرية وحسب الناس فى زماننا هذا انها حقائق « فقط » لانها انحدرت لنا من أسلافنا وهذا خطأ كبير لان ما ورثناه ونرثه من ثقافات السلف ليس كله صالح وليس كله ضار والذى يجب أن نأخذ به هو الفضائل الاخلاقية وما يلائم روح العصر وموكب الحياة الزاخرة وندع غيره ٠

ولتبيان ذلك الفهم غير المستقيم الذى سلكه ود اب زهانة وأعانه عليه وضعه الاجتماعى وفصاحة لسانه ٠

نمضى معه عبر هذه الاسطر كيف يقضى ود اب زهانة يومه ٠

يقال انه يفتتح يومه باصلاة « متأخرا » ثم يتناول القهوة حتى الفنجان السابع ٠ ثم يحول له سريره من صحن الدار الى « ضل » الضحى ويدخل فى نومة الضحى وهى عنده مما يطول العمر ، وأصبح ذلك مثلا « نوم الضحى يطول العمر » ويصحو عند انكماش الظل متثاقلا فتسرج له دابته فيركب عليها فيصل بيت زوجته الاخرى فى طرف القرية ٠ فيترجل عن دابته ويدخل « الراكوبة » ويجد العنقريب « الهبابى » معدا وهو سرير خفيف ينام عليه ساعة القيلولة ثم تصنع له زوجته الثانية قهوة النهار فيرشفها رشفا حتى الفنجان السابع ثم يتناول الغداء ويضجع وهو يردد عباراته المشهورة التى صارت مثلا « من تغدى تمدى » وله رواية من تغدى تمدى ولو الحرب دائرة ٠

ثم يصحو عند اصفرار الشمس فيطوف على بيوت الجيران يتحدث فى أحقر الامور ـ فلانة وضعت وفلانة حامل ، وتلك طلقوها وأخرى خطبوها فيدركه المغرب ثم يتحرك جارا رجليه جرا نحو مجلس الشيوخ فى ساحة الخلوة فيسلم عليهم فردا فردا .

ويسأل عن كل شيء « لايخصه ولا يهمه » فالحرج الذى يتعرض له السائل أو المسئول لايقيم له وزنا .

ذات مرة جرى بينه وبين « البو » هذا الحوار :

البَوْ ـ أرضك من الذى يزرعها

ود أب زهانة ـ أزرعها أنا أو أولادى

البو ـ أرضك عرضة للجفاف

ود أب زهانة ـ يطلق حكمة من حكمه « من سكاها ما لحقها » وينتزع زمام الحديث من « البو » اسمع يا آخى ـ الدنيا من خلقوها الناس تزرع وتخدم ماذا فعلوا .. ما سمعت بالمثل :

اليجرى جرى الوحوش

غير رزقو ما بِحُوش

أنا يا ابن العم تعبان على من « الحى رزقه حى » وربنا عايش الدودة بين حجرين (وربنا ماشق حنكا ضيعو)

أنا والله مؤمن بالقدر ولا أريد أن أتعب جوارحى الوادى شرب أب زهانة قوم للزراعة . قام عليكم البلاء ! تزرعوا من زمن حفروا البحر عملتوا شنو . ياناس خليكم مؤمنين ثم ينفض المجلس ويتحرك نحو دار زوجته الثالثة لان دارها أقرب للخلوة .

فيتعشى ويخالف القاعدة المشهورة بعد العشاء لان المثل يقول (من تعشى تمشى) فيضجع ود أب زهانة ويغط فى نومه ولا يحركه الا لفح حرارة شمس الغد مع غثاء الشياه وخوار الابقار فيلعن أبو الحيوان ويطلق حكمة أخرى وهو يتمطى من تعب النوم ٠٠ أخ ٠٠ (النوم خريف العين) ٠

هذا وبعد أن تضضع ماله مال نحو الاستدانة فكان يقترض الماشية والنقود ويدفعها لمن يشكرونه أو يعدونه بالزواج ومن ضمن توجيهاته لابنائه وأصدقائه :

١ ــ إدينّ وأتبيّن
٢ ــ الدِّينْ فوق الكتُوف ٠٠ والاصل معروف
٣ ــ أكل عجبك ، وألبسْ عَجَبْ الناس
٤ ــ كان كِتْرتْ الِهموم أرقد نوم
٥ ــ رزق الليل ضيق
٦ ــ الصبر ضل النبى

وشاعت حكاوى ود أب زهانة وقصصه وصار شخصية خيالية مثل جحا ــ وأشعب أو ود نفاش الذى يعيش بيننا الان ويعتبره الكثير منا شخصية من الاقدمين ثم أضاف المجتمع السنارى فى أخريات أيامه بعدا جديدا لشخصية ود أب زهانة

عدوه من الصالحين وما أكثرهم فى ذلك الزمان ــ ثم أتى جيل لون شخصية أب زهانة حسب مزاجه وتصوره وسمعنا بعد نحن أبناء هذا الجيل الذى عرف الفنادق واللكوندات . المثل المنسوب لود أب زهانة :

يأكل فى اللوكندة وينوم فى الجامع

تابع الشيخ فرح هذه الامثال والحكم وفندها علميا وعمليا فكان عندما يسمعها يدفعها بمثل هذه الاقوال :

الاستراح راح

الشقا لقا

من كد وجد

الى آخر أقواله مما يصنعه هو ومما قاله السلف الصالح ومن الامثلة التى وجدها شائعة بين الناس فى ذلك العهد ·

الساعة

ولا الزراعة

المعنى أن قيام الساعة أهون عندهم من العمل بالزراعة فسأل الشيخ عن منشأ هذا المثل فقيل رعاة الابل فرد على قولهم ساخرا من حديثهم :

الجَمّالة

الدنيا عدُّوها جُوالة

والاخرة فاتوها بِى حَاله

وفوجىء السلطان وبلاطه وأولاد المراتب برجل يحسب من المشائخ الصالحين يخرج كل يوم مرتين فى موكب غريب شيخ يحدو هذا الموكب وفى كتفه اليمنى « اللوح » وعلى كتفه الايسر (السلوكة)

ومن خلفه وعن يمينه وشماله شباب وشيوخ يحملون اللوح والدواة بيد · وبالاخرى أدوات العمل الزراعى ·

وتهامس المشائخ · سبحان الله آخر الزمن

ناس تَخدِمهم الدنيا
وناس تَخدِّمن ...

فرح ود تكتوك يبقى كلب دنيا ..

وسأل أحد من فرقة ود أب زهانة تلميذ للشيخ فرح قال « وين شيخكم الفارغ » قول ليه « كان تجرى جرى الوحوش غير رزقك مابتحوش »

فأخبر التلميذ الشيخ فرح بقول ذلك الرجل فقال له الشيخ فرح ان لقيته مرة أخرى فقل له فرح قال لك :

انت الفارغ

اللاك حاش ولاك زارع

وقد واجه الشيخ عنتا وسخرية من مجتمع يترفع كثير من أهله ووجهائه عن العمل باليد . دعك من شيخ يفترض فيه الصلاح ، والصالح حسب أعراف بعضهم لا يعمل بيده .

والمجتمع فى ذلك العهد كان يتغنى ويسخر من الذين يعملون بأيديهم ولهم قصائد وأغنيات كثيرة من هذا القبيل وتلك أطراف مما كان يتغنى به مجتمع الامس اخترتها من أغانى وسط السودان وغربه .

عرديب

مازرع القطن ما قَلَقُوا وَاسَقا
ما شال الملُود مَا بملا ايدوا واطا
عرديب كردفان كَىْ القلوب فِى سما
دَقر المربطا البِلدغو بياذا

غنيلو يا أم كنان
مازرع القطن مَاحَتَّ بِى مُحجَان
ماشال الملود مَايِرعى ساق الضان
فارس المدعكة صمد الِيَجن رِيقان
مُو صمد اسواقىِ اللابس الدلقان
مُو تربال سواقى وماحَرَسْ وبان
مُو تاجر تُشَاشَا وما رجح ميزان
صمد الرُّوقَلن فحل اِلبيَجن رِكيران
يَتَلَّتْ مَحل مايعـ ـل الدشمان

الحش

تُبَّ الشَّالُو مَلُود
ودنقر حَش فِى الفود (١)
هَادا الِعيص مشدود
قارح ماهُو قَعود (٢)

هذا وازدراء العمل هنا والترفع عنه يرجع لتأثير أعراف الفروسية على سلوك الشبان ·

فهم يتصورون أن الذى يعمل بيديه هو الخائر الجبان فهم يرون الكمال فى قطع الطريق والسلب واغتصاب السائمة من أصحابها هذا هو العمل عندهم ويليه الرعى

---

(١) الفود ـ التدفد
(٢) القارح ـ المكتمل القوى

وما دونه فهو هوان .

هذا وتلك نماذج من الشعر النسائى الذى تنظمه المرأة ويسمح لها المجتمع حسب الاعراف البدوية أن تتغزل وتحكى حكايات الحب من خلاله .

والمقطوعات التالية اشارات واضحة كذلك للعمل أو هذا مايهمنا فان الفتى المثالى هو الذى لايعمل بيده كما تشير تلك النماذج من المقطوعات الشعرية .

مَا فجر لِى جُوَادا (١)
تابع البِى قجاجا
يا قِطع الوسادة
جمالك تِركه وعاده

ناس الحَنَّى فِروعا (٢)
وَاندَم أمَّه وجوعا
عجبى الشَّال ممنوعا (٣)
وكَدِى لِى بِيلا رِتوُعا
ما طَقَّ جِنِينه
وَما تفنن إيدِنه
جَدْىَ الريل ـ بِرعى وَوَطَاطا زِينَه
مَاطقَّ هَشابه
وما بياكل السَّلَّابه

---

(١) الجوادا ـ تجويد الارض ـ اصلاحها
(٢) حنى الفرع ـ عطفه وامالة
(٣) المتوع ـ السلاح النارى

جدى الريل ـ مرعاه فى الجرابه
المزن الرَوَّقْ
البى صَعيد إشَّوقْ
ما بطق هشَاب ـ بِى هَا الجزر بِسَوَّق

بِمْشِ وَيتكىَّ
سِنك تِرباع الفكَّه
ماطق هشاب بى عيال البرْقَا زَكَّا

مثل هذا الغناء وغيره وجده الشيخ فرح شائعا فى مجتمعه فكان حافزا له فنظم الشعر الغنائى يمدح به من يعمل ويكدح وخصص الشطر الاكبر منه للزراع • هذا، ومازال هذا الغناء الخانع منتشرا فى بعض الاماكن وبعض أغنيات منه تبث أحيانا من أجهزة الاعلام •

ثم أجمع معظم المشائخ على أن الشيخ فرح بفعله هذا سلك سلوك طالب الدنيا وكانوا يحاجونه بقولهم « الضعيف »

من يخدم الله
تخدمه الناس

فكان يرد عليهم بالحديث الشريف « من بات كالا أو من عمل يده بات مغفورا له » (١)

(١) الجامع الصغير ـ حرف الميم

وجد الشيخ نفسه بين العمال والزراع والرعاة وكل الكادحين أصبحوا أحبابه وأتباعه وأنصاره •

وكان رحمه الله لاينطق الا بالحكمة وعن دراية ومعرفة بدخائل من يعاشرهم ومن يوجههم • شكا له أحد الزراع من ألم فى يده واسم الرجل « البدرى » قائلا « أعزم على يدى ياشيخنا » • فمسك فرح يد البدرى وشرع يعزم عليها

يا إيدْ البدرى
قُومى بدرى
إتوضى بدرى
صلِّ بدرى
أزرعى بدرى
حِشِّى بدرى
أحصدى بدرى
كِدِى شوفى كَانْ تِنْقدَرى

سألوه عن المال وكيف يجمع فقال :
المال يا حِرَاته
يَا وِرَاته

وكان ينظم الحكم الطريفة حفزا لهمم المزارعين فمن قوله فى مدح المزارع

الحَرَّات بريده ربنا القُدُّوس
قَدحو فِي الملم يَبقَى دَوام مَدْعوس
فى الدنيا جَابُولو الِفى العِيَبْ مدسوس
وان مات سَاقوه على جنة الفردوس ..

ولعلها أول شهادة تصدر فى مجتمع سنار بحق العمال والزراع يجزم لهم وهو صادق أن الله يحب « الحراث » ثم ان الزارع رزقه اوفر . فهو فى كل مناسبة يشارك الجماعة . بقدح « مدعوس » كانه السنام والاشبار للدعس كناية للخير الوفير الذى يجنيه من يعمل ويكدح فى فلاحة الارض .

ويضيف أن المزارع يكرم فى الدنيا حيث ما حل « جابولو الفى العيب مدسوس » والعيبة هى وعاء من الجلد الناعم أدق صنعة من الجراب توضع فيها نفائس الاشياء ولاتخرج الا للعظماء أمثال الزراع .

والبشرى يسوقها لهم فى متن المقطوعة الاخيرة ان مات أحدكم فمأواه جنة الفردوس .

ثم يحضهم على مواصله العمل خصوصا فى الايام والليالى التى يشتد فيها الحر ويصعب العمل بقول يفيض بالحكم فيشحذ هممهم ..

بِيتَك لا تَجِيه فى ليالى الحَرّ
جاهد الارض مع الملود إِنْكَر
ليالى تَفَاهَا يا أخوى لا تِنفَر
سِيد العيش عزيز عِندُ الرجال تِنْجَر

المعنى : ينصح بعدم المجىء للبيت فى زمن الغيظ لانه

مدعاة للكسل . والملود آلة معروفة . تستخدم فى «الحش» « انكر » الانكرار المصانعة المتابعة .

ويضيف تلك ليالى قصيرة (تافه) اياك اياك ان تنفر . الانفرار هنا رقاد الكسالى وهو رقاد فيـــــه كل أسباب الرخاوة والدعة ..

ثم من بعد فان صاحب العيش عزيز لان الرجال (تنجر) تسحب أرجلها نحوه طمعا . سأله سائل عن أنه يريد بنـاء ساقية فقال له بطريقته المعروفة الشعر لقــومى والمثـل والحكمة :

إن دُرْتَ السواقى وَسِّع الاقنِين
وفى سعاية البقر لاتزيد عَلى جوزين
وَدرِيدِيمْ الضأن لا تَمْرقوُ من العين
انَ صِرم يغنيكَ ويَحِلَّ الدِّين

المعنى والمفردات : ان من أراد عمل (الساقية) فعليــه توسيع « الافنين » وهو (الجابيه) التى يتجمع عندها ماء توسيع « الاقنين » وهو (الجابيه) التى يتجمع عندما مــاء بحفر الجابيه ثم يحضر البقر ويدعوه لان يسعى الضــان حسب الحاجة « ديدرم » تصغير دردم وهو القطيــع . ان صرم (الصرمة) الحاجة عند العامة .

ان احتاج أصحابه لبيعه أغناهم وحل دينهم .

العيش

وبينما هو وأتباعه فى كدهم وجدهم دهمتهم سنة عجفـاء شح فيها الخريف وانخفض انتاج العيش وقد أثر هذا الشح على مخزون الدولة من الحبوب . فأصدر السلطان أمــرا

للمشايخ بان يجمعوا العيش من الاهالى بالشراء أو بالسلفة ·

فجزع الاهالى من هذا الامر لانهم جربوا عدم الوفاء مرات وطفق المشايخ والمقاديم والجند يحثون الاهالى ويقرونهم واحيانا يتوعدونهم ·

لما اشتدت وطأتهم على الاهالى لجأ بعضهم للشيخ فرح يستشيره كيف يتصرفون · فقال لهم :

جراده فى الكَفْ وَلَا ألف طايره

حافظوا على قوت عيالكم أولا وما فاض ان وثقتم بأمر السلطان أعطوه ، ثم اتصل المقاديم بالشيخ فرح وتلوا عليه أمر السلطان · فقال لهم هذا عيش « نفقة » لا أعطيه للسلطان « عيش النفقة هو مايخصص للانفاق على الطلبة وأبناء السبيل » فالحوا عليه وشددوا · فقال لهم ساخرا : انا قبلت آن أبيع لكم العيش لكن امهلونى حتى اليوم التالى ·

قالوا له : ماذا تريد آن تفعل وقد قررت آن تبيع لنا العيش ·

قال : أريد فى الغد مشاورة العيش فان قبل بعته وان رفض فلا لوم على ·

والشيخ موقن آن العيش لا ينطق ولا يحس ولكنه عمد للاثارة حتى يعلم الناس موقفه ·

قال الجماعة : قبلنا الشرط فالى الغد ·

ثم أتوه فى الصباح ومعهم جمهرة من الاهالى بدافع الفضول ليروا كيف ينطق العيش ·

فأخذهم وذهب للمطمورة وَوقف عليها وصاح زاعما انــه يخاطب العيش • قال :

يالعيش
هَاىْ يالعيش

العيش • لايرد ثم يواصل مخاطبته :

هَاىْ يا الخُمرِى
الدَّاخْرِك لِى عَمرى
يالبتغَدَّى فيك
وأتعشى فيك
وأصبِحْ مِشتهِيك

وزاد تجمع الناس وكثر تســاؤلهم وكرر الشــيخ قولــه والمطمورة ساكتة لا تنطق فضاق المقدم وجماعته بعبــث هذا الشيخ فانتهره المقدم : العيش لايتحدث ياشيخ فرح • فــض هذا الاشكال وأعطينا العيش •

فرح : العيش تحدث معى ولكنكم لا تسمعون •

المقدم : مــاذا قال ؟

فرح : قال لى :

أكان بِعتَ نوم عينيك
أنا مَالِى بِيكْ

الاشارة واضحة من خلال هذا الحوار الذى اصطنعه مــــع العيش •

ومن ثم بالعمل والانتاج والادخار • قال :

أَحفَرْ التَّرَسْ وأطبق المحفَار
وأَرْضَ بالخِدمة فى النهار الحار
يرضى عليك الواحد الجبار

فى الخريف كَتِّر حَشِيشك (١)
وفى الصيف كَتِّر طشيشك (٢)
إن خِتيت خُمَّارة دَرِيشَـــك (٣)
الدَّنَاعَة ما بْتَعِيشَك

المناظــــرة :

ويسميها مجتمع الامس «الجلسة» ويحكى انه جالس وناظر عدة مشائخ كالشيخ عبد القادر ود هجو « المشهور » بعبـــد القادر راجل أم قزازة وتلاميذه كما ناظر الشيخ محمد ود عبد الحى • افتتح الشيخ محمد ود عبد الحى الحديث مفاخرا قال ..

أنا محمد ود عبد الحى
أنا النَّجيض مَانِيْ
أنا ود عبد الحى يابس كدادة
خُنْصُرُ الديك وقَدُّوم الجدادة

واستهل الشيخ فرح حديثه قائلا :

انا فرح الونِى
اول امـرى مَنِـى

(١) حشيشك ـ الحش ازالة الطفيليات من الزرع
(٢) طشيشك ـ السفر بلاهدف
(٣) خمارة دريشك ـ ماعون اكلك الغاص

وَمَوْضُوع فى مَحلاًّ شَنِى
لولا فضل ربي الغَنِى
لابتلِمس ولا بَنْدَنِى

هذا واهم جلساته ومناظرته كانت مع فرقة الزبالعة فمن هم الزبالعة :

الزبــالعــه ..

يقول المستر هليلسبون

تشير يوميات امين باشا التى لم تطبع ، حسبما ورد فى المجلد الرابع ص ١٦٠ بتاريخ ٤ر١٠ر١٨٨ الى عـــادات وتعابير غريبة والى طريقة دينيه لا تقل غـــرابة عن تلك العادات والتعابير هى جماعة « ابو جريد » التى كانت عند النيل الازرق - لقد كان من الاشياء الممتعة اجراءاستطلاعات عن هذه الجماعه التى كانت غير معــــــروفة وعن عاداتهـا ومعتقداتها حيث انها تعطى مثالا حيا لفترة الاسلام الشعبى لغير المتعلمين والذى يختلف كثيرا عن الدين الاصل .

ان المعلومات الاساسية التى وردت فى هذا المقـــــال اسخلصناها من النبذه القصــــــيرة عن هذه الطريقة التى تحصلنا عليها من الشيخ ابو القاسم بن دفع الله الدنيابى والذى وجدنا لديه معرفة واسعة بجماعة أبو جريد .

ويقول الشيخ ابو القاسم بالرغم من ان هذه الجمـاعة قد سميت على ابو جريد ولكنه لم يكن هو الذى اوجدها او

حتى لم يكن قائدها . والموجد الحقيقى لها هـــو « ابكر » ويرى الشيخ ابو القاسم ان الشيخ عبد الله العركى ـ كان قد أدى فريضة الحج عدة مرات وفى مرة من تلك المرات عاد بصحبته سبعة من اشراف مكة . الذين اقاموا فى الســودان كرجال دين وكان احدهم وهو محمود الغريــب الشــريف الحسينى .

قد ربط نفسه بالشيخ عبد الله العركى واخذ تعـــاليمه وطريقته وقد تزوج . الشريف محمود الغريب امرأة من ابى حراز وولدت له ابنا هو ابكر « مؤسس فرقة الزبالعه » وقيل انه عاش منقطعا للعبادة بعد وفاة والده حيث لازم الخلوة « ودرس الاسماء » دون وساطه من احد او موجه روحـــى وبالرغم من انه كان اميا ولم يتلق اى تعليم ويقـــال ان الاشرار اخذوه جانبا وعملوه اسرارهم من « نفث العقد » .

وهناك رأى اخر يقول بأن «أبكر» لم يعش حياة انقطاع او ملازمه للخلاوى ولكنه انضم الى بعض الذين تخصصوا فى فنون السحر وقد علمه هؤلاء النوبة تلك العلوم والفنون السحرية . وكلا الرايين متفقان على ان مؤسس جمـــاعة « الزبالعه » هـــو ابكر ولم يكن اب جـريد ســـوى خليفة له ولكن سمعته كانت اكبر من ابكر . ثم تلاهما الخليفه الثالث « كرين الذى كان له دور بارز فى تاريخ جماعة الزبالعـــه وتعرف ذرية كرين حتى اليوم بانهم خلفـــاء الطــــريق « وخليفتهم الحالى والذى لقيته فى يوم ١٧ فبراير ١٩٧٥ !! واشهر اتباعهم قديما وحديثاهم الرواشده ـ كنانة التاقات

ـ المنصوراب والعوامره وغيرهم ٠

ويرى الشيخ محمد عبد الرحيم المؤرخ المعروف ٠ ان ادم اب جريد ولد فى قرية « تباخه » غرب الحاج عبد الله ويرجع اصله الى قبيلة كنانه » وكان اميا لا يعلم شيئا ولكنه ذو دهاء وذكاء تظاهر بميله الدينى وحبه للتصوف فأخذ الطريقة القادرية على الشيخ « ابيعقوب » ثم انفصل عنه واشتغل بالعبادة والنسك ٠

وكانت لهم أناشيد تدل بوضوح تام على ان تلك الضلالة مقتبسة من مذاهب الشيعة ومنها قولهم (١)

البُوبْ للنبى والبُوبْ جِبْتَـهُ بالنَّم
وَاوجدى وكِتْ اطرى الرشيد ادم ٠٠
الجَرجَرْ نخيلو وسِيسَبانو بَرَم
النجم العتيقة وما اشتغل بقلم

ولهم أناشيد فى الامام على تدل علىتشيعهم كما اسلفنا فما اشبههم « بالبابكية » المنسوبة الى بابك الخرمى الذى كان من الباطنيه والذى ظهر شوالى ٢٠١ هـ ٨١٧ م وذكر الشيخ محمد عبد الا حيم بعض الوقائع عن الزبالعه قال ومن الغريب المدهش ان للزبالعه امور خارقة للعادة لازالوا يتعاطونها عيانا مثلا منها ٠٠٠

عقدة الزبالعه اذ رأت امرأة من بعلها نفورا لجأت الى احد

الزبالعه وبسطت له وقائع المسألة ونفحته بشيء من النقود وهنالك يعمل لها عملا يصير ذلك الرجل كالة صماء في يدها تحركه كيف شاءت ولا يعصى لها امرا .

٢ ـ اذا خاف الزبالعه بطش التمساح في النيل صنعوا تمثالا من الطين كهيئة التمساح ثم رقو رقيـــه على خيط وربطوا به فك التمثال ووضوعه بحافة النيل ونزلوا الــى النهر حالة كون التماسيح تظهر وتختفي حولهم فلا تستطيع الدنو منهم ولا من ماشيتهم مالم يكسر التمثال الموضـــوع بحافة النيل .

٣ ـ اذا عادت الابقار من المراعى وهمت العجول الى لقائها يرسمون خطا على الارض بين الابقار والعجول فلا تستطيع بقرة بان تجوز من فوق ذلك الخط الى فصيلها حتى تحـلب ويطمس ذلك الخط من الارض .

٤ ـ حدثني المرحوم محمد افندي على ارووط المحاســب بمديرية النيل الازرق قال : لمارات ؟ الحكومة سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٨ ميلادية .

انتداب ابراهيم أفندي جراب الفول الموظف بمركز مـــدني ومعه أحد رجال البوليس المدعو ـ ابراهيم قادوس ـ لاحصاء حيوانات سكان حلة الرواشدة ـ الزبالعه ـ استاءت امرأة من نساء الزبالعة وقالت لهما « ان أرجلكم هذه التي تجرون بهـا خلف أبقارنا لاتمشون بها على الارض فسقط الرجلان عـلى الارض وعجزا عن القيام فجيء بهما محمولين الى مدني .

وربما كانت تلك القصة من الخرافات التي يصدقها العوام ولا نصيب لها من الواقع لانها تنافى الدين والعلم وربما كان

للايحاء ولايهام نصيب كبير فى تصديق العامة لهذه الحوادث .

وقد ذكر ود ضيف الله فى ترجمته للشيخ حمد ود الترابى « الزبالعه » حيث حكى أن امرأة اسمها (عايدة) قالت الرجل هذا « وتعنى حمد ود الترابى يحدثونه الزبالعة بالواقع ويقول بكاشف (١)

هذا وقد حاربت كل الفرق الصوفية هذه الجماعة خصوصا العركيين أكثر الناس معرفة بهم بحكم الصلة والجوار .

كما حاربهم وقتلهم الشيخ بدوى ود أب صفية عندما دخل معهم فى معركة دامية، ايضا حاربهم وفند حججهم واراءهم الشيخ فرح ود تكتوك وقد ذكر الشيخ أبو القاسم الدانيايى ان ظهور الشيخ فرح كان كارثة على الزبالعة لانه عارضهم بشدة وأوقف زحفهم وقد التقى بهم وبزعيمهم الشيخ « كرين » واستطاع مناظرتهم وقهرهم بعد لقاءات متعددة ولكنهم أذوه قى عرضه وماله ونفسه .

حِيرَانْ أبْ طُوره
العشَرَة ما يَقْروا السورة

فمن حكاياتهم معه انهم وجدوه بالقرب من البحر فصاحوا فيه واستفزوه ولما لم يستجب لهم « بال » واحد منهم عليه فقال لهم جزاكم الله خيرا .

قد كنت شاكا فى طهارة ملابسى وها الحين قطعتم لى الشك

ونزل البحر واغتسل .

٢) ومنها أن الشيخ كان يبنى فى حجرة « قطية » ولما اكتملت مرت به عصابة منهم وتصايحوا كالعادة فلم يلتفت اليهم فمالوا نحو البيتا لجديد واخذوا يشلعونه «يهدمونه» فانضم اليهم الشيخ وشرع يخرب معهم وكان يردد ساعتها قولته المشهورة :

قلتوْ خربانه يا الفقراء
خربانة
أم بنايًا قَشْ

٣) وذات مرة وجدوه يرقد على سرير تحت ظل شجرة بالقرب من النيل وناوشوه فلم يجاريهم ثم حملوا السرير وهموا بالقائه فى البحر فتعثروا وخافوا وكانوا يرددون اسم شيخهم « كرين » مستغيثين به فالتفت اليهم الشيخ وقال :

يا أبَّانْ طَريقةً مُضِله
يا أبَّان عَملاً ماهو لى الله
وكْتَ العَنْقَرِيب فوقكن انْبله
ما بنفعكم كِرّين وِد عبد الله

٤) ويحكى انهم وجدوه فى ظل شجرة فحصبوه بالحجارة فأصابه حجر على أم رأسه حتى سال دمه . فشكرهم قائلا : جزاكم الله خيرا يا الفقراء .

كنت أنوى أن اتحجم وها أنتم وفرتم على هذا بخروج الدم

نشا ـــــ .

مناظرته مع كرين

والمناظرات كانت معروفة ومنتشرة فى معظم ارجاء المملكة السنارية وكانت تسمى (الجلسة) وهى التى يؤمها العلماء والفقهاء ، واهل الفكر بخاصة .

وايضا عرف مجتمع ذلك الزمان (الـ بكرة) وهى اجتماع العشائر والقبائل البدوية والرعوية ومن على شاكلتهم للصلح وحل المشاكل . كذلك عرف مجلس «الاجاويد» .

ود بقادى

وقد اشتهر الشيخ ابراهيم بقادى من الفقهاء فى اخر السلطنة الزرقاء بمناظرة العلماء الذين يفدون على سنار ممثلا للسلطان لان الادعياء وأشباه العلماء استشرى أمرهم وكل من دخل سنار ادعى العلم والصلاح .

وكان ذو باع طويل فى علم العربية والمنطق والفقه وله قصص وطرائف أهمها ماحكاه الشيخ أحمد حضره عن الاعداد للمناظرة التى كانت ستجرى بينه وبين السيد محمد عثمان الميرغنى الجد الاكبر للختمية ثم توفى ود بقادى فجأة .

الشيخ خوجلى والزبالعة

حكى أن الشيخ حمد ود أم مريوم تقدم بشكوى لسلطان العبدلاب بقرى الشيخ عبد الله ود عجيب .

فحوى الشكوى أن السلاطين كانوا يكرمون الشيخ خوجلى ويحترمونه وينادونه بعظيم توتى وكبير توتى .

وأحس الشيخ حمد بدخول مذهب الزبالعة لجـزيرة توتي فأغضبه هذا لان الشيخ خوجلي لم يتحرك لمحاربتهم فكتب هـذه الشكوى ؟ فلما وصل خطابه للسلطان عبد الله ود عجيـب كتب السلطان يسأل الشيخ خوجلي عن صحة الشكوى ؟ ومـا رأيه فيما قاله حمد فرد الشيخ خوجلي ردا ذكيا قال من بعـد التحية والتعظيم والاحترام تسألني عن الزبالعة ودخـولهم توتي فأقـول :

عيني ماشافت أضاني ماسَدّيتَا ـ أحمـد ولدي أكـان إزّبْلَع ما خَصَّاني ـ وحمد أخونا ما بكضب ٠

وعموما فان الناس تحامت الزبالعة وكان كثير من أهـل الطرق يقودون حملات متوالية ضدهم ٠ الله اعلم بصحتها وصوابها ٠

وقد أطلق عليهم الناس يومئذ (الخامسية) أو الملة الخامسة ـ يعني انهم يخالفون المذاهب الاربعة المتفق عليها عند عامة المسلمين ٠

ولا أظن أن احدا من سكان وسط السودان لم يسمع بكلمة زبالعة أو لم تطلق عليه ياولد ـ ماتزبلع ، خلي الزبلعة ـ دا واحد (زبلعي) ماتسمعوا كلامه ٠

نواصل المناظرة :

قلت أن الشيخ كرين ود عبد الله ناظر الشـيخ فـرح او جالسه كما يعبر الناس وقتذاك قيل أن الجلسـة كانت في

منطقة (بنسو) بالقرب من الرصيرص وحضرها حشد من الناس ٠

١) الاتهام الموجه للشيخ فرح انه طالب دينا ولم يهتم بأمر الدين لانه يزرع ويحصد بيده ويعمل فى كل المواسم بلا انقطاع ٠

٢) الاتهام الموجه لكرين فساد العقيدة والاشتغال بالعقد والسحر والطلاسم ٠

الشيخ المضوى يفتتح الجلسة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد فاننا نجتمع هنا لنستمع لحديث الاخوين فرح ود تكتوك وكرين ود عبد الله وأرجو أن يكون الحديث بالصدق والامانة ٠

كرين : بسم الله والحمد لله

درج الشيخ فرح ود تكتوك على سبنا والتعريض بنا وهذا من باب الغيبة والنميمة ٠

فرح : بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله ٠

يعلم ربنا الوهاب — انى لم ابدأ السباب ، ولا يعرف طبعى النميمة والاغتياب ولم أقل عنكم الا الصواب ، لانكم مخالفون للسنة والكتاب

كرين : نحن لم نخالف السنة والكتاب يا فقير الله فنحن نصلى ٠

فرح : أريت صلاتكن ما صلاتى ، المتروكة لبرد الشاتى
كرين : اتقى الله ياعبد الله ماسمعت بى زكاتنا
فرح : أريت زكاتكم ما زكاتى ما تدوها الا السمين العاتى

كرين : ماشفت يا فقير خلواتنا وضيوفنا كرات كرات
فرح : أريت خلواتكم ما خلواتى
أرضى أرضى وحاتى

كرين : قصر حديثك يا طالب الدنيا • يارفيق الزراع •
فرح : أريت رفاقتى رفاقة السرور • آبان عملا مبرور آبان سعيا مشكور ، انتو فى كبى وسوى الفطور ، وهم حرتو المسور

ويتصايح جماعة الزبالعة به بعد تحرج موقف شيخهم وأوسغوا سببا وقيل انهم انتفوا لحيته وانفضت الجلسة على ضوضائهم وعبارتهم المشهورة :

الشاك
فيه مشكاك
الشاك
فيه مشكاك

الفصل الثالث

١ ـ الحكمة والفراسة
٢ ـ الرجـــال
٣ ـ النســـاء
٤ ـ الفقير والامير

الحكمة والفراســة

قلت سابقا أن معظم أهل السودان يعرفون الشيخ فرح من خلال أقواله وحكمه وربما كان الفضل لاسلوبه الســـهل العفوى الذى يأتى فى قالب سجعى محكم العبارة • ومـــن الاسباب التى أذاعت صيته أيضا معارضته للملوك والسلاطين وبعض مشائخ الطرق من أهل زمانه •

يا واقفا عند أبواب السلاطين
أرفق بنفسك من هم وتحزين

ومن ينتمى للطرق من أهل وقتنا
توقاه وأمسك ظاهر الشرع والخبر

وستجد هاتين القصيدتين فى باب الشعر •

والشاهد أن الشيخ فرح رجل سنى صــــوفى فى تفكيره ونظرته للامور والاحوال •

كذلك فان الشيخ لم يتقوقع كغيره ولم يعتــزل النـــاس ولم يسد أذنه بل ظل لصيقا وصديقا لكل من قدم سنار مــن أهل العلم والمعرفة • عرف أهل الحجـــاز والمغرب ومصر وغيرهم • ثم حج لبيت الله الحرام فخالط كثيرا منجماعات

المسلمين من شبتى انحاء العالم فحادثهم وحادثوه عن امور الدنيا والدين أضف الى هذا قراءته الخاصة والمامه بثقافة عصره • كل هذه الاسباب ومالم أذكر جعلت الشيخ يتابع حركات التطور فى العالم من حوله • وربما كان يرصد ويحلل كما نقول ونفعل اليوم •

ويبدو لى من خلال ما سمعت عنه ان الشيخ لم يكن رجاما بالغيب أو مدعيا علم غيب • انما كان يصدر أقواله ومأثوراته عن تجربة وبعد نظر وموازنة للاحداث الفائتة والاتية •

ومن بعد • فان الشيخ يظن به معرفة الدين وهو بهذه الصفة ادرى بالدين واحكامه من غيره وقد سمى الشيخ الرجامين وادعياء معرفة الاشياء الغيبية سماهم (جواسيس الخليفة) كما سيأتى فى الشعر •

وفيما يلى اسوق بعضا من حكمة واقواله وهى منسوبه اليه بالتواتر والتكرار عند العامه والخاصة •

وتلك طائفية مما نسب اليه وظنى انه عندما تحدث عن « بحر » سنار كان يقدر ان العمران سيشمل هذه الرقعة من قلب السودان وليس من باب الترجيم بالغيب ولكنه التنبؤ المبنى على الخبره ومعرفة ضرورات العمران الانسانى وقد توصل الى ذلك بالحدس الصادق وهو ما يتوصل اليه علماء اليوم بالدراسة وتراكم الخبرات •

قال :ـ

يابحرنا الجارى
بَعـــدَ الحـــال
يحفرُوكْ بالطوارى

ويطلعوك الضهارى

الضهارى اصلها جمع ظهر وهو المرتفع من الارض ويقابله البطن ومنه اتت كلمة البطن التى تجمع عند العامة على (بطانة) وفى رواية ثانية :ـ

يا بحر سنار الجارى
تحتك بنات الحوارى
بَعد الحَال يحفروك بالطوارى
ويَبْنُوك بالحِجَارى
وحكامك فوقك تبارى

تزعم الاساطير ان بنات الحور تسكن جوف النيل والبناء « بالحجارى »الحجارة واضح امر بناء الخزان وحكامك فوقك «تبارى» تتابع ذهابا وايابا ٠

هذا فى تقديرى حديث رجل يعرف مايجرى فى الدنيا ويعرف عن أخبار السدود والخزانات ويعرف أيضا بحسه العميق قيمة هذه الارض وما ينتظرها من عمران وخير ٠ وهو الفلاح المجرب ٠

وقد تحدث مرة عن قيمة هذه الرقعة التى نسميها اليوم بالجزيرة وفيها الخزان والمشروع ٠ سألوه مرة عن حدود السافل والصعيد قال :

الصعيد من أم طَرْفَاية
والسافل من الحلفاية
وبينهما أرضا عِيْدَكية
تربى الناس والسعية

وفى قول آخر تربى الضان والسبعية · أم طرفايه بالقرب من ستار أما الحلفاية فواضح موقعها ـ حلفاية الملوك

أما كلمة عيدكية فلعلها الارض الخصبة السوداء والله أعلم ··

وينطبق قوله على أرض الجزيرة وهى الرقعة الواقعة بين أم طرفاية والحلفاية ومن حكمه قوله :

السفر بالبيوت
والكلام بالخيوط

وفسروه بالقطارات والكلام بالخيوط تعنى الهاتف « التلفون »

سأل الشيخ صديقا له من أهل البادية وكان لا يصلى ··

قال الشيخ :ـ

لماذا لا تصلى ؟

البدوى : أصلى ان شاء الله بعد فوات الشتاء ودخول الصيف ··

الشيخ :ـ

أكان اتهدم القيف
قُبَّال دِخول الصيف
الشورة كيف

القيف شاطىء البحر والمعنى اجمالا اذا مت قبل دخول الصيف فكيف يكون موقفك !؟ ويلاحظ المرء أن أحاديث الشيخ وأقواله كلها مصاغة فى قالب شيق ·· ساله أحد الاصدقاء أن يعيره بهيمة لبن لغداء أطفاله ·

قال الشيخ : أعطيك ناقة
الرجل : لا أريد الناقة
الشيخ : اعطيك بقرة
الرجل : لا اريد البقرة
الشيخ : اعطيك بنت ضأن
الرجل : لا
الشيخ : بعد هذا اظنك
تريد أم سبيب
ام مشيا خبيب
ام رعايتا شبيب
البتجى للبيت قبل المغيب
دى ما بدوها
الا الحبيب القريب

المعنى : السبيب صوف المعزى والخيب مشيها السريع وهى عندما ترعى الشجر فانها تشب (تثب) على رجلين والمقصود من القصة كلها مكطفة الرجل وتطييب خاطره ·

الرجال :

وللشيخ راى فى الرجال بل اراء فى الرجال والنساء نمهد له بحكمته المعروفه ·

انا البطحانى
العارف باطن الزمانى
اسمعوا قول لِسَانى
ولا ترومو الهوانى

البطحانى : نسبة لقبيلته (البطاحين) الخبير باسرار الحياة (باطن الزمان) اسمعوا قول لسانى اسمعوا منى مباشرة ولاترموا الهوانى ولا تقعوا فى الهوان قال عن الرجال :ـ

الرجال فِيهُن بحور
فِيهُن رَخم فيهن صِقور
فيهن رَدِى وَلدْت نِكور
ضَيَّع عُمره فى شرب الخمور

المعنى : ان الرجال فيهم من هو مثل البحر كرما وسخاء ومنهم (رخم) والرخم من الطيور (الخاملة) والصقور هى الجوارح ويشبه بها الرجل الشجاع · وفيهم ايضا الردىء الخامل ولدت نكور (ابن منكر) ·

ثم يقول عن الرجال

فِيهن وهيط مِتل السرير
فى البلد قَطْ مالِى نظير
فيهن أغَمْ مِن هو صغير
يتكازى زَىْ دَحَش الحمير

المعنى : ان من الرجال من هو متل السرير كناية للراحة والسعة فاهله ينامون على ظهره ومنهم اغم فاشل منذ صغره يتكازى · المكازاة بمعنى المخالفة متل الجحش العنيد ·

الرجال فِيهُن كِلُوس
فيهن غِنم فيهن تِيوُس
فِيهُن شقِي ولْدت نِحوس
ضيع عمره فى شرب
الكدوس

المعنى : منهم كلوس (الكلس) الرجل الفحل القوى ·
وفيهم ايضا من يلازمه النحس منذ صغره (ولدت نحوس)
وشرب الكدوس الدخان مربوط فى زمنه يشرب الخمر .
ويقول ·

فِيهُن صبورًا مِنْمَهل
سالم مِن اللوم والفسل
فيهن تِخينًا مِندبِل
همو فى النوم والاكل

المعنى : منمهل ، الرجل الماهل هو كريم الاخلاق ·
الفسل النقص والعيب - اما التخين المنديل فهو السمين
الخامل الذى لا يهتم الا بملىء بطنه ·

الرجال فيهن الِهميدَا «١»
مَشيتُو سِقيدا «٢»
واَكلتو نِقيدَا «٣»
ان ضرب ما بفش غِيدَا «٤»
وان قنص ما بَجيبْ صيدا «٥»

المفردات : الهَميدا ـ الهامد الخامل (٢) سقيدا السقدة ،

طير معروف من بغاث الطير يكنى به للضعيف ٠

(٣) اكلتو ـ اكله نقيدا ـ ينقد الطعام نقدا شأن الرجل الضعيف ٠

(٤) ما بفش غيدا ـ فش الشيء ـ افرغه ـ غيدا اصلها من الغيظ ـ يعني مثل الرجل ان ضرب خصما فلا يشبفي غليلا ٠

الرجال فيهن كَمَكّم «١»
قفا الفاس الملقم «٢»
عند اللقمه القَمْ القَمْ «٣»
عند الحديث عجلاً مَشكّم

المفردات : كمكم ، تستعمل للرجل القوى كمك وتعنى ايضا الرجل الاصم البليد ٠

(٢) الملقم ايضا بمعنى الاصم القفل

(٣) اللقمه يكنى بها للشره عند الاكل

(٤) عجلا مشكم ـ العجل المشكم ـ الشكيمه ـ شبكه توضع على فم العجل فلا يخور ولايأكل ولايرضع فيظل حيرانا ٠

فيهن مَرَابط فى الدرب
سافل صعيد شرق وغرب
فيهن فتنةً للحرب
مِثل الكلاب يوم الضرب

المعنى : المرابط فى الدرب هو الكريم الذى يتصدى للضيوف فى الطريق ويدعوهم لداره

---

(١) كمكم ـ الكمك فى العامية القوى الفخم

(٢) قفا الفاس ـ كناية لقوته

(٣) اللقمة كنى بها للاكل

فيهن أصم
جامع الرأى والفهم
فيهن دِينكِيسًا اغم
همو بس ليم الخلم

المعنى : الاصم الرجل الصميم العميق ، اما الدينكيس فهو الغبى الخامل الذى لا هم له غير ارتياد البيوت المشـــبوه ، نواصل حديثه على وتيرة اخرى عن الرجال ٠

نِعْمَهَ الرجال الحاكرين
عدَلوا مقاماتُن ساكنين
أخدُوا الحريم ولدوا الجنين
حَرتوُ الارض عيشا تخين

المعنى : يثنى على الرجال المستقرين المقيمين (الحاكرين) والحاكر هو الصابر المستبسل مقاماتن منازلهم ٠
وبعد بناء البيوت تزوجوا وانجبوا وزرعـــوا الارض وحصدوا عيشا (تخين) ٠٠ نواصل معه الحديث

نعمه الرجال أهل العقول
تبعوا النصوص ماهن غِفُول
ما هموا بالنوم والإكول
متل الجبال وسط السهول

المعنى : اكرم بالرجال الذين يستعملون عقولهم بمتابعتهم للنصوص الشرعية ولم تشبـــغلهم الدنيا ولم يكن همهم الشاغل النوم والاكل ٠

والواحد من هؤلاء ، ظاهر متل الجبل فى وسط السهل

نعمه الرجال أهل الشَّجاع
صنُّوا البطون رَقدُوا جياع
جمعوا العيوش دارُوا
النفاع
يَزَّابوا كيف جَرْوَ السباع

المعنى : اكرم بالرجال الذين يلوح على وجـــــوهم نور الايمان ويمدحهم ايضا بأنهم أهل كدوجد لانهم يزرعـون ويحصدون من أجل المنفعة العامة والخاصبة (جمعــــوا العيوش داروا النفاع) اما المزباه فهى المنافسة عند الخطر والمغرم فهم يخضون غمار الخطر ويتدافعون كما تتدافـع السباع الكواسر • وقال ايضا على وتيرة اخرى •

ود الحلال قط ما بِخيب
العُقْبَ الفِسل كِيفن يطيب
انظر وِلِيدات الدبيب
من هم صغار ليهن شبيب

المعنى : ان ابن الحلال لا يخيب الظن به وان الاصـــل الرخيص (الفسل) لا يطيب والشيخ يعنى ان الجبـــله والطبيعة من العسير تغيرها الا بالحكمه •

ويضرب المثل بصغار (الدبيب) فهم منذ صغرهم يتواثبون للشر بفطرتهم وطبعهم •

المـرأة :
وكما كان له رأى عن الرجال فله رأى ايضا عن النسـاء ونبدأ كما بدأ الشيخ ، قال :

بعد الرجال شُوطَ الحريم
فانظر قِصَصْهن يافهيم
فِيهِن دهب مخزون قديم
فِيهِن نحاس خارج رميم
فيهنَ عقارب ساكنات هشيم

المعنى : شوط الحريم سيرتهن وقد وضبـح امرهن اما (العقارب) ساكنات (الهشبيم) فالهشبيم الشبجر القـديم والمحل الوعر فهو مظنة سكون العقارب ·

فِيهن كفوت
فيهن لفَـُـوتْ
انت تجى من الخلا
هِى تجِى من البيوت
لاتدّيك مَقُوتْ
ولاتَخلىّ كلمةً تَفُوتْ

المعنى : الكفوت اللفوت ، ضرب من المشى القبيح ومع قبح مشيتها فهى لفوت كثيرة الالتفات وهو مما تذم به المرأة ·
المجىء من الخلا ، الخلاء محل العمل ومحـل الزراعة اما مجيئها هى من البيوت بمعنى انها لا تستقر ببيتها (المقـوت)
مجيئها هى من البيوت بمعنى انها لا تستقر ببيتها (المقوت)

فيهن وَلْدَتْ كِدُور
شيتًا ياخدوا وشِيتًا يبور
شيتا متل دهب الحضور
شيتًا يَستاهل عصر القبور

المعنى : الكدور من الكدر يعنى بها القبيحة الخلق ، شيتا ياخدوا · يتزوج واخر يبور زواجه ·

ومنهن من فى نفاسة الذهب « الحضور » طبقة من التجار فى ذلك الزمان ، ومنهن من تستاهل دفنها وهى حية « يستاهل عصر القبور » وهى المرأة المجرمة الخائنة ·

فيهن تقيلةً ما بْتحَوم
ما ضاقت الحر والسموم
فيهن تَعيسةً ما خَايفة لوم
كسلانه ما بْتَقْدَر تقوم

المعنى : ان من النساء الفاضلة المستقرة بدارها والتى لم تتعرض للهجير والسموم بسبب خروجها الكثير من منزلها ·

ومنهن التعيسة والتى لاتخشى الذم ورغم ذلك كسولة لا تستطيع حراكا من شدة الخمول ·

فيهن عوَيّل
فى بيت جاراتا تقيل
ان شافت عندك زوَيّل
تَنْهم البدّال تكيل

المعنى : العويل تحقير والعويل فى العامية الصغير الشأن . وهى ابدا تقضى نهارها فى البيت جاراتها وتلك مذمة .

وان رات عندك ضيفا (زويل) تصبغير زول ، « تنهم » تنادى على « البدال » التاجر والتجاره كانت معظمها بالمبادله المغايضة المعروفة .

بِتّ الحــلال :

بِت الحلال إن اِتلَقَتْ
لِى مال كتير ما اِتْلَفَّتت
فوق الرجال مَا حلقت
لامِن تموت ما اطلقت

المعنى : ان وجدت المرأة بنت الحلال وهى السهلة الميسورة التى لا تلتفت للمال الكثير ، وهى التى لا تطوف ولا تدور متبرجة متبذله ، فمثل هذه المرأة هى التى تحسن المعاشرة .

بِنْتَ الحلال وِين تتلقى
إلا سعيدا مُو شقى
ان جَابت وَلد يطلعْ تقِى
وان جابت بِتْ تترجى

المعنى : وهذه لا تتيسر الا للسعداء ، وهذه المرأة ان انجبت ولدا خرج تقيا بارا وان أنجبت بنتا تشب أيضا مطيعة ومجمل القول أن التربية الاصيلة لابد أن تأتى آكلها .

بِنْتَ العرام وجع الصدر
خلطت بخور صندل ضُفُر
قالت سلام يا أهل الجزر
وفِى بالاَ معنايَاً كُتُرْ

المعنى : ان المرأة القبحة الشقية التى تسبب الالم النفسى هى من تلك الشاكلة التى تتطيب وتتعطر وتخرج للسوق أو محلات الاجتماع تحيى هذا وتتحدث مع ذاك وفى بالها معنايا كثر • فى بالها معنى آخر ! من الخبث •

أم الشـــيخ :

سألته احدى النساء بعد أن شاع حديثه عنهن ••
المرأة : هل آمك مثلنا ياشيخنا
فرح : نعم أمى مثلكن ولكن عندها حسنة واحدة
المرأة : ماهى حسنة أمك
فرح : عندها نص قلب
المرأة : كيف ذلك
الشيخ : نص قلب • هى بالشرق • وهو بالغرب
وانتهى حديثه معها بهذا الكلام الرقيق فانصرفت المرأة

الفقير والامير :

يتحدث الشيخ فرح بأسلوبه المسجوع الطريف فيقـول فى المقطع التالى :ـ

تبا للفقير وهو « الشيخ » ان لم يتق الله فى سره وجهـره ويقبل على الاخرة والذى يكون سلوكه هذا لابد أن يكرم الله

فى الدار الاخرة ويكون سالما من العذاب ·

دُبَّ الفِقير أُمَّا إتَّقى
واقبل على دَار البقا
يوم الجَمِع ويوم اللقاء
يسلم من اللوم والشقا

ثم يقول عن الفقير (دب) تبا للفقير ان حاد عن الطـــريق السوى واصبح من دعاة الحرب والشبقاق وترك وظيفتـه الاساسية الاصلاح الاجتماعى · وجملها فى قوله ·

دُبَّ الفقير ان طَلَق الدرب
وشال عصاتو ودخل الحرب
كل ليلة فى هُوشَه وَضَرِب
دَا خِير منـــُّو الكلـــب

ويتابع حديثه عن الفقير تبا للفقير ان لم يتحــرز ويحافظ على دينه ويمنع عن الشر ويترك النوم والكسبل ، وهى :

دُبَّ الفقير أُمَّا احترز
ما تابع النوم والعجز
······· وقد نجز

نواصل مع الشيخ حديثه عن المشائخ

دُبَّ اللسان أُماَّ استَدَار
من المقامات ٠٠ الكبار
القائم بعيد سِمْعَ الخبار
بعد الفرس عِدموا الحمار

تباللسان ان لم يترك الحديث فى خيار النـاس ، ويعنى الشـيخ الذين لا هم لهم غير تجريح النـاس وهـؤلاء الهمازون النمامون يأكل الغيظ قلوبهم حتى انهم عدمـوا كل شىء (بعد الفرس عدموا الحمار) ٠

وتحدث عن الامير وهو الحاكم فى ذلك الوقت يقول تبا له ان لم يتحرى الصدق فى حديثه وفعله ويترك الحقد عـلى الناس ، وجملها فى قوله :ـ

دُبَّ الامير أُمَّا صَدَقْ
وترك المقَايِسْ والحَنَقْ

ويواصل حديثه عن الامير ، فيقول تبا للامير ان لم يكن عارفا واعالما بشئون من يحكمهم وينبغى للامير ان يكـون دقيقا فى كل كلمة تصدر منه وان لاينحرف عن الطـريق القويم فان كان كذلك يكون خيرا وبركة على قومه ٠

دُبَّ الامير أمَّا عِرف
مِن العديل ما بنحرف
آخـر الزمن

يتحدث الشيخ عن اخر الزمن ويحكي عن «التكت» وهي الاحداث الغريبة وجملها في ذهاب التعاطف «المحنة» وجفاء الابناء للاباء وخروج المرأة الحرة كاشـــفة حاسرة وان زجرتها ووبختها اشتكت للحاكم ٠

ويضيف انه بعد هذا الحال ذهبت صالحات النساء ولـــم يبق من النساء الا اجسامهن بلا ارواح وكذلك ذهب خيار الرجال وذهب أيضا الحلال ٠ والصدق أوصدت أبوابه وكل من يعرف الحق خرس لسانه ٠

قال :
آخر الزمن شوف التُّكَتْ
المحنه رَاحت َما قَبَّلَت
الجَنَا للوالدين جَفت
وأهل المحنة إتقَاشَرتْ
العانِى للسِيد ما اتلفت
الحره مثل الخادم مَشتْ
رمت الثياب اتكشفت
ان هَبشُوها راحت شكت
راحوا النساء تِلَتْ النكت
راحو الرجال تِلتْ الجِتَتْ

وراح الحَرام فَضَل السُّحت
الصح دروبوا اسَّدَدتْ
وكله البِعرف الحق سكت

اخر الزمن الارض تشيب
والبرق القبلى يخيب
وبت الرجال تعيب
والغلط يجى من القريب

المعنى :ــ

البرق القبلى هو البرق المعروف «بالعبادى» ولا يخلف هذا البرق الظن ابدا حسب تجارب الاهالى الطويلة ٠

ويتحدث ايضا عن اخر الزمن ويدعو الناس ويشير عليهم ان يسبعوا الراحلة السريعة والاشبــــــاره واضبحه لسرعة المواصلات ويحث على تحرى الزوجة المطيعة التى تعين على الحياة ٠

اخر الزمن
اسعوا الدابه السَّريعه
واخذوا المرأة المطيعه

وقال ايضا يوصى الناس ان ينتجعوا فى اخر الزمــــان الصعيد فيبنوا الحظائر ويشددوا عليهــا الحراســـــة وان يتزاوجوا مع الاغراب ٠

وهى دعوة لحرية الاختيار اذ درج مجتمــــــه على زواج الاقارب بعضهم من بعض ٠

اخر الزمن
زَرِّبْ وكَلبِّ
بَعِّد وصَعِّد
وتزوج المرأة الغربية

المريســـة

كما تحدث الشيخ عن جميع وجوه الحياة تحدث أيضا عـن الخمرة المعروفة « بالمريسة » بطريقته المعهودة ٠

المريســـة
مُرَّة وتعيسة
تأكِلْ الفَطِيسَة
وتمرق الكلمة الخبيثة
وتُورِث النَّبِيشَة

خبزوها وجَابوا الصَفَّاية
اتجمعوا فوقا أهل الرايه (١)
فى التوحيد ماليهم غايه

---

(١) الراية ـ راية ترفعها صاحبة الحانة لتدل عليها

صفوهَا مِن عصرًا بَادى (١)
واجَّمعُوا فوقا الفُدَّادى (٢)
ابليس ليهن قاضى
من ملةْ محمد غادى

الدنيـــا :

الدنيا وكت تَرُشَّك
ما تصدقها بتغشك
يوم تَصُد منَّك تَكُشَّك
بِى مناجلها بتحشك

الدنيا وكت تَقِيمَكْ
لا تصدقها بتضيمك
يوم تجيب لِيك غَرِيمك
الرجال تاخد حريمك

---

(١) عصرا بادى ـ اول دخول العصر

(٢) الفدادى ـ جماعة السكر ـ والفدة لعلها من الفداء او المفاداة

الدنيا الدَّنِيه
فى آخر الدنيه
تَبقى يَا عِنْ فداديه
يا عربى تابع سعيه
يا لئيمًا إيدُو قويه

الدنيا دَرْدَرِتْنى
فى هوها وَدَّرَتنى
وَرَّدَتْنى وَسدَّرْتنى
مَارِتِلى كبرتنى

الدنيا وكت تَجِيكْ
بالفَسِل ما بتستحيك
تكتل أمك وتكتل أبيك
ومافى أحدًا يصطفيك

وفي آخر أيامه كان يردد بأسلوبه الفكه هذه العبارات :

الليلة يا ود تكتوك
الشايب المهلُّوكْ
وِينْ أمك وِين أبُوك (١)
وِينْ اخوانك الحبوك
وين الرجال أهل السلوك
وِين السلاطين والملوك
كم يحسبو المال لكوك (٢)
رِئيتن وَمَا رؤوك
سكنوا التراب فوقن دِكُوك (٣)
الليلة جَاتكْ رِفى أم سمبوك (٤)

---

(١) وين ـ بمعنى أين
(٢) لكوك ـ سباتك
(٣) دكوك ـ الدك التراب وتعني دكوك طبقات من التراب

الفصل الرابع

الشعر والشـيخ

ذكر ود ضيف الله في ترجمته للشيخ فرح انه كـان شاعرا ماهرا وكلامه مطرب وجاذب للقلوب ٠

وظني أنه كذلك اذا وضعنا في الاعتبار شعر تلك الفترة من الزمان ٠

شعر المحاكاة والتقليد والتشطير واثر البديع واضـح على شعر تلك الفترة ٠

ويبدو أن الشيخ فرح لم يكن هدفه من الشعر النسـيب أو الفخر أو أن يقرض الشعر من أجل الشعر ٠

انما وظف شعره لخدمة قضايا مجتمعه التربويةوالاخلاقية بل الاقتصادية كما سنرى ٠

ولاريب أن الشيخ فرح كان يعرف أحوال مجتمعه ومـا يدور ويعتمل في أذهان الناس ٠

وقد فطن شيخنا فرح أن مجتمعه له ميلا فطريا وتعاطفـا شعوريا مع الكلمة المنظومة ذات الايقاع أكثر من أى شـكل تعبيرى آخر ٠

وأحسبه طرق الشعر من هذه الزاوية ٠

هذا ورغم بعد الشقة الزمنية التى تفصل بيننا وبين عهد الشيخ فرح فاني أكاد أجزم بصحة الاشعار التى أوردتها في هذا الكتاب منسوبة اليه ٠

وذلك لعدة احتمالات وأسباب أوجزها فيما يلى :

أ ـ وجود وثائق خطية كتب عليها معظم شعره وثقتى في

تلك الوثائق ومن وجدتها عندهم كبيرة وهم يولونها عناية فائقة فمثلا وجدت أحدهم (١) يحفظها بالوسيلة التالية :

المكان جزء ملحق بالبيت أشبه بالمخزن أو « القطيع » ولا توجد به نوافذ سوى بابه الواحد والغرفة آبدا مظلمة ورطبة •

وهى الوثيقة التى بها القصيدة المعروفة :

يا واقفا عند أبواب السلاطين
أرفق بنفسك من هم وتحزين

والمخطوطة محفوظة داخل غلاف من الورق القديم والغلاف محاط بخرقة قماش سوداء وقطعة القماش وما بها داخل علبة صفيح مربعة الشكل على هيئة الحجاب المعروف الذى تعلقه النساء على أعناقهن ويتدلى حتى نصف الساق •• والعلبة تلك داخل وعاء من الجلد « جراب » •

وكل جيل يمضى ويتركها للجيل الذى يليه لا بحسبانها أثرا أدبيا وحسب

ولكن بحسبانها حرزا وشيئا عزيزا يتيمنون ويتقون به عين الحسد والشر •

وهذا سلوك معروف عند عامة الاهالى فى وسط السودان وقليل منهم من يهتم بالقيمة الادبية والتاريخية فى حد ذاتها •

ب ـ الشيخ فرح ممن يظن بهم الصلاح ويعد من المشائخ الذين لهم احترام كبير •

وقد عودنا أهل الســـودان هذا الســـلوك فيما يتعلق بمشائخهم لانهم يخشون بأسهم ويرهبـــون بطشـــهم فلا يُقَولُونهم ما لا يقولون ·

ولكن المرء يستثنى بعض التلاميذ الذين يشتطون فى مدح مشائخهم ففى غمرة حماسهم تلك يضيفون وينسبون لهـــم أشياء لم يقولوها أو لم يفعلوها ·

جـ ـ وقد ظهرت فى وقت لاحق بعض أحـــاديث وحكـــم تتساوق ولهجة الشيخ فرح ولكن أصحابها لم يجدوا قبـــولا اجتماعيا يتفاعل مع أقوالهم ·

فنسبوها « وبحسن نية » للشيخ فرح لعلها تجد القبـــول والسيرورة · منها المقطوعتين اللتين أوردتهما منســـوبتان اليه الكلمة الاولى :

اخر الزمن
يَجُو الانقِلِيسا
وغفيرن البوليسا

والاخـــرى :

اخر الزمان
يَجِى الخزان

وقد بنيت شكى فى نسبة هذا القول للشيخ فرح ·

هـ ـ معظم القصائد المنسوبة للشيخ فرح نجد اســـمه فى صلب كل قصيدة منها ·

وهذا أسلوب اشتهر به السلف من شـــعراء الصـــوفية ·· تضمين اسم الشاعر عند نهاية المدحة أو القصيدة ·

وقد شاع هذا الاسلوب في السودان عند كـــل النظامين وأصحاب شعر المديح النبوى والصوفى وتعداه لشعر الحكـم الذى مارسه الشيخ فرح وغيره .

د ــ لم يزاحم الشيخ فرح مزاحم من أهل وقته فى مجـــال الشعر السلس الممزوج بالحكم والطرائف وهذا سبب يبعـد الشك فيما ننسبه للشيخ فرح .

هـ ــ ثم جاء بعد فترة لاحقة الشيخ العبيد ود بدر وقـــد جارى الشيخ فرح فى أسلوبه السلس الفكه .

وربما حاول الشيخ العبيد متابعة نهج الشيخ فرح وينسب للشيخ العبيد انه قال :

سألت الله أن يعطيني ثلاث مسائل فأعطاني اياها ..

سألته أن يعطيني «كَرَم» أبوى الشيخ ادريس ود الارباب فاعطـــاني

سألته أن يعطيني « ثراء » أبوى الشيخ حسن ود حســونة فأعطـــاني

وسألته أن يعطيني « لسان » أبوى الشيخ فرح فأعطاني

ورغم هذا فأحاديث الشيخ العبيد ومسجوعاته معروفـــة ولها دلالاتها التاريخية والاجتماعية وهى غـــــير اشـــارات وشواهد الشيخ فرح المعروفة لدينا .

و ــ معظم الذين التقيت بهم من رواة وحفظة سيرة الشيخ فرح من غير المتعلمين وهم يحفظون بالسماع واللقن وعندما يحفظون الشعر الفصيح لا يأبهون باللغة والاعراب فأشاعوه بين الناس من غير اعراب ولا ضبط .

وربما تأثر هذا الشعر بعنصر الزمن اذ ظل ينقله كل جيل

للجيل الذى يليه فشاع الاضطراب كالقصيدة « طريقتى »
الشيخ ينظم ويسجع معظم أحاديثه وحسب مقتضى الحال تارة باللغة العربية الصحيحة وتارة بالمزاوجة بين الفصيح والدارج وأخرى باللغة الدارجة وعموما فان القارىء يجد شعره مليئا بالحكم والتجارب والفوائد وهذه صفة الادب الانسانى لان الغاية من الادب شعرا أو نثرا هو تحريك الشعور العاطفى وبالتالى العقلى عند الانسان لتغيير واقع مؤلم لغد أفضل ثم المتعة التى صبغت شعر الشيخ .
هذا ويحسب الشيخ فرح على رأس شعراء عصر الفونج اذ استطاع أن ينقل الشعر الشعبى نقلة جديرة بالتسجيل . وأمثال الشيخ فرح قليلون فى هذه الناحية ، فقد ظهر فى شعره النزعة الصوفية الممتزجة بالواقعية المستمدة من صميم الحياة والمجتمع لنستمع الى قوله وهو ينصح المزارعين وكان هو نفسه يشتغل بالزراعة :

أرفع التَّرَسْ واطْبُقْ الحُفَار
وما تابى الخِدمة فى النهار الحار

طريق :

سالوه ذات مره عن طريقته فاجاب ان طريقه طريق محمد وانه بعد اداء ما عليه من الفروض الاساسية الدينية منها والاجتماعية يملا فراغه بسيرة رسول الله صلى الله عله وسلم ورجزها فى هذه المنظومة :ـ

اذا ما الجائرون عليك صالوا
تلذذ بالصلاة على محمـــد
اذا وقفوا بباب الله قـــوم
فاقرعهم بالصلاة على محمـد
اذا صَبَّ عليك مطر البلاوى
توقاه بالصـــلاة على محمد
اذا كنـــت فى امـــــر مهـــم
فبدر بالصلاة على محمـــد
اذا الملهوف نادى مســـتجيرا
فلا ادرى لـه الا محمـــد
اذا المكسـور لَمْ يلـق جبيرا
فتجبره الصـلاة على محمـــد
اذا المـــديون لم يلق وفـــاء
فتكفيه الصلاة على محمـــد
نعم كل السـعادة فى محمـــد
فياسعْد الذى يلقى محمـــد
جعلتها مسندى وعماد ظهـرى
فمالى ملجـــا الا محمـــد
هو الكهـــف الذى تَأْوِى اليـه
جميع الخائفين نعم محمـــد
هو الحبل المتين بلا انفصـــام
وعروة ربى الوثقى محمـــد
فان كان الرجال لهم شـيوخ

فشيخى الصلاة على محمـــد
اذا كان الرجـال لهم طـروق
فانا طرقى الصلاة على محمـد
اذا كان الغـــزاة لهم دروع
فانا درعى الصلاة على محمـد
جميع الحـــارثين لهم بذور
وأنا بذرى الصلاة على محمـد
جميع الخائفين لهم حصـــون
وانا حصنى الصبلاة على محمد

العلم :ـ

العلم نور لا يماثله ضـــياء
والجهل ليل اسودٌ مثل السجم
العلم نور ما راينــا مثــله
والجهل في الكفر والعصيان لَم
علم العقائد كالشموس اذا بدت
يجلي سواد القلب من هم وغـم
علم الشرائع بدر ليــل مظلـم
فيه يجد السائرون على العــلم
علم التصوف ذاك اكسـير به
يغني الفقير من الدراهم والنعم
والنحو ذاك سفينة تطوى بهـا
لجج البحار من مـــوج ملطلم
من يشتم العلماء او يغتــابهم
اخشى عليه مثل عباد الصــنم
ولحومهم قالوا لنا مســـمومة
والسم شاربة يموت بلا سقم
ويل لباغضهم اذا زفرت لظى
يكسى من القطران درع كالفحم
اسمي فـــاء ثم راء بعـــدها
والحاء ثلاثة الحروف قد ختـم
وقبيلتي بطحاني قوم بالفــلاة
ترعى باديه السيال مع السلم

بليل :ـ

بليل بن محمد بن عيسى شقيق الشيخ فرح وكان مقربا عند السلطان بادى ابو دقن اقنـــــعه ان يقتطع ارض مشروع الحجرات للشيخ فرح فاجاب وامضاها ـ له ولكن الشـيخ وزعها على تلاميذه بالقسطاس والمؤسف انى لم اعثر على تلك الوثيقة التى فيها اهداء السلطان بادى ابو دقن وكان يرمى بهذا الفعل الى استمالة الشيخ لجانبه ، ووقوف مثل الشيـخ فرح بجانب السلطان مكسبب جماهيرى كبير .

ولم يفطن الشيخ فرح لغرض السلطان حتى فاتحه شبقيقه (بليل) بكتاب ارسله من سنار والشــــيخ كان وقتذاك فى الصعيد فحوى الكتاب ان يحضر الشبيخ وتلاميذه ويسكنون مع السلطان فى قصوره ان شاءوا ثم شرح بليل فى اخـــر كتابه كيف انه ءاصبح مقربا من السلطان وانه اصبح ادنى من قاب قوسين للثراء والجاء والنعم الجزيلة احس الشيـخ بان شقيقه تورط بالتزامه مجىء فرح للحاكم فكتب اليــه كتابا اوجزه فى قصيدته المشبهورة .

يارب صلى على المختار يَسن
من كان صنعته قهر الملاعين
يا واقفا عند ابواب السلاطين
ارفق بنفسك من هم وتحزين

فلما قرها بليل ثاب الى رشده ورجــــع الى اخيه مقتنعا تائبًا .

باب السلطان :ــ

يا واقفا عند ابواب السلاطين
ارفق بنفسك من هم وتحزين
تاتى بنفسك فى ذل ومسكنة
وكسر نفس وتخفيض وتهوين
اذا كنت تطلب عزا لا فناء له
فلا تقف عند ابواب السلاطين
ولا تصاحب غنيا تستعز بـه
وكن عفيفا وقدس حرمة الدين
فالطمع يرميك فى ذل ومهلكة
وما يزيدك الا كـل تهـوين
والقانع نام قريرا لاكصاحبه
كما تنام غصون فى البســاتين
فثق بربك لا تبقى سواه لجاه
والرزق منزله فى ختم يسـن
وكم جرى طامع فى البيد مغترفا
ولم يجد قصده فى الشام والصين
كم دودة فى عمق الارض من حجر
ياتى اليها رزقها فى الوقت والحين
الا لازم العلم والتقوى وما نتجت
من ثمار تفز بالخرد العـين
خل الملوك بدنيا هم وما جمعوا
وقم بدينك من فرض ومسنون

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بديناهم عن الدين
واعلم بان الذى ترجوا شفاعته
من البرية مسكين بن مسكين
لايقدر العبد ان يعطيك خردلة
الا باذن الذى انشاك من طين
مالى اذل المخلوق واساله
وان سألت الذى أعطاه يعطينى
الدين كنز عظيم لافناء له
والمال عارية والله يهدينى
من باع دِينًا بدنيا واستغربها
كانما باع فردوسا بسجين
فلقمه من طعام البُرِّ تشبعنى
وجرعة من قليل الماء تروينى
وقطعة من قليل الثوب تسترنى
ان مت تكفينى او عشت تكسين
والحمد لله قد تمت قصيدتنا
ونشكر الله فى سر وتعلين
فرح الفقير كثير الذنب الفها
منظومة لعبيد فى البطاحين
يارب صلى على المختار يسن
من كان صنعته قهر الملاعين

الدهـــر

بدأت بسم الله فى أول الخبر (١)
واحمده حمدا يزيد لمن شـــكر
ثم صـــلاة الله تترى على الذى
له المنصب الاسمى على سائر البشر
وتتلى بتسليم يفـــوق على البها
ويزكوا على صوف البهائم والوبر
وآل واصـــحاب كذا كل تابع
وتابعهم حتى نقوم من الحفـــر
وبعد فانى قد نظمت قصـــيدة
على بعض اخوانى الذى فضلهم ظهر
فهمت مقـــالتهم واحببتهم كمـــا
احبو لنا بالقلب والحـــب مدخر
واسم له حسب النبى محمـــــد
وابن اسيد شيخة والاب بحـــر
فقلت له سيدى ومحبنا .....
عليك بتقوى الله والنصح لاتذر
وسبنة خير المرســــلين طريقة
ولا تقتفى أهل التبدع والصور
واعرض عن الاكوان واقصد مليكهم
لترجع ليه فى المنافع والضـــور
وسلم اليه وارضى بالحكم والقضا
وحكم رسول الله فى كل ماشجر

(١) هذه القصيدة منقولة من مخطوط السانى يوسف بسنار والقصيدة طويلة عدد ابياتها (٢٥٣) وهى كاملة فى كتاب التراث الشعبى لقبيلة البطاحين
معهد الدراسات الافريقية الاسيوية ـ يوليو ١٩٧١

تعلم فان العلم يسمو بأهلـــه
مكانا عاليا بعد ماكان محتقــر
ورافق لاهل الدين والخير والتقى
ولا تصحب الاندال يرموك بالضرر
وأقسط من الازمان فى كـل ساعة
ووزع حقوق الوقت توزيع ذى بصر
تحذر ضـــعيفا فى المذاهب كلها
ولو كان عند البعض سـام ومشتهر
تحـــذر فقراء الزمان بأسرهـــم
وأحسن بهم ظنا سوى البضع والصرر
وباعد رجالا عن نســـاء آجانـــب
ولو قائمين الليل أو صائمى الدهر
ومن ينتمى للطرق من أهل وقتنــا
توقاه وأمسك ظاهر الشرع والخبر
ولا ترتضى مدحا بغير حقيقــــة
فكم أحمقا غــره المدح وافتخــــر
فان نجيب القوم يدرى لنفســـــه
ولا تلتفت الى قــول من حـــــدر
ولا تفتخر بالاهل والمال والبنـــا
تفكر اذا جـاء الصـــيف للخـضر
يزول كطرف العين من بعد زينـــة
كمثل شباب جاءه الشـيب والكبـر
ولاقى لحر النـــار بالنـــار مثلها

كما يلتقى الثعبان بالصل والدقر
ولكن خير الناس كاظم غيظه
وما سار فوق الارض سام كمن صبر
تأنى ولا تعجل اذا رمت حاجة
فان عجول القوم مخطى وان ظفر
فليس اللعب يباح الا ثلاثة
اذا أحتجت ربعها وما بعدها خطر
ملاعبة الزوجين والخيل والقنا
وتعليم مايرمى المقابل في النحر
وطفل اذا يبكى يجوز لامه
ومن شاله طرا أناثا ومن ذكر
وشاور ثقاب القوم واعمل برأيهم
وكن مستجيرا حيثما كنت في الدهر
ولا تك جاسوسا على الله يا فتى
فان جواسيس الخليقة فى سقر (١)
كحظ وتنجيم وفال ورملة (٢)
ومن سائر الازلام فالحذر الحذر
كبونى ومرجان وشمس معارف (٣)
وخلخلة ثم السباسب ذى الضرر
طلاسم أوفاق وما يشبهونه
من القلم اليونانى فى السر والجهر

---

(١) الجواميس ادعياء معرفة الغيب والله اعلم

(٢) الخط والتنجيم والفال والرمل وماشاكلها اشياء نهت عنها السنة السمحاء

(٣) البونى وشمس المعارف الكبرى واكام المرجان من الكتب المشبوهه التى تروج للطلاسم والسحر

وأرفق فان الرفق خير ونعمـــــة
لان كثـير الرفق عـــال ومفتخر
وكن طيبا تأتى جميـلا بمثلـــــه
وثلث لبطنك واقتفى النص فى الخبر
ولا تكتم المهضوم وأسرع بفضـــه
يريحك من كل ثقيل ومن وقـــر
وكتمـــــانه يرمى بداء وفــالـج
وحجر بمر البول والحـرق والحصر

وان قدر الرحمن صـــاحبت حرة
فصاحب مسلسلة من أم ومن ذكـر
بخال وعـــم ثم جـــد وجـدة
واخوانها مثل الشموس مع القمـر

يصونون أعراضا ويرعون واجبـا
ويقطعون فى الاجسام كالفأس فى الشجر
ثقات بلا كبر نصـاح بــلا ريـــا
عفاف بلا طمع كرام بلا ضجـــر
شجعان بلا خوف وبغير ملامـــــة
رقيقون قلبا للضـــعاف من البشر
وعمل باخلاص وعلم بخشـــية
وصبر وحلم نعم فى الناس من صبر

جبهتهـــا بَدْر وَتَــبٌ عيــــونها
وشعر يحاكى غاسق الليل فى العكر
وحاجبها نون وأهدابها ســـــمت
وسن كمثل البرق فى ليلــة المطــر
مكوكبة فى الفم كاعبـــة الثــدى
وضامرة الاحشا والقصر فى الظهر
فان أدبرت مهرا وان أقبلت جــدى
وان جلست سلطانة حــولها الوزر
ومزيونة فى كـــل عضــو جميلة
من العضد والساقين والقدم والشعر
وفعلها ميمون بعقـــل مكمـــل
وطبع حســين نطقها النظم كالدرر
موافقة ترضى ولــو بقليلـــــة
تود لصـــاحبها ودا بلا بطـــــر
ومأمونة فى المال والنفس باللقــاء
ومكنونة مثل الجواهر فى الخــدر
جميلة أخـــلاق تحـــب مكارمـــا
عفيفة عرض ليس فيها من الكـــدر
مصيبة رأى فى تدابير عيشـــــها
منيرة أجســـــام تسرك فى النظر
فان ولدت بنتا غـــزال بقيعــــة
وان ولدت ابنا كحيــــدر فى الوعر
تقبل يا الهى ما نظمت لصــــاحبى
يكون حقيقا كل الفهم قــد ظهـــر

وساعد لناظمه بسعد بصوته
من العصيان والسهر والغرر
ونعم لتكتوك أبيه وأمه
واخوانه والاهل من سائر النفر
ثم الصلاة ما بدأ الصبح مسفرا
وغنت مطوقة على ذروة الشجر

الى عبد القادر

حكي أن بعضا من تلاميذ الشيخ عبد القادر بن هجو راجل أم قزازة زاروا الشيخ فأكرم وفادتهم .

ثم جلس يسألهم عن شيخهم وعن حالهم قالوا : خرجنا من شيخنا ومع كل واحد منا سبعة قرصات وسبعة تمرات وقبضة ذرة ونريد الذهاب الى الخلاء كي نتعبد، ثم سألهم عن فرائض الوضوء فلم يجيبوا وسألهم عن الصلاة والغسل فما أفادوه ..

قال لهم : أرجو أن يتخلف أربعة منكم لاعلمهم الضرورى من أمر الدين ثم يلحقون بكم ليعلموكم . لان عبادتكم هذه لاتزيدكم الا بعدا من الله .

فأظهروا الموافقة .. وباتوا ليلهم معه ثم استأذنوه فى الغداة للذهاب « فقادهم » وودعهم وسألهم فى الطريق عن الاشخاص الذين سيتركونهم قالوا : لا نفعل الا بعد الاذن من شيخنا . قال : أهلا وسهلا نرحب بكم متى عدتم أقرأوا منى السلام لشيخنا .. « جميعا » وانصرفوا وفى الطريق راجعوا حديثه معهم قال كبيرهم الشيخ فرح سب شيخنا ولابد أن ننتقم منه هذه اهانة لنا ولشيخنا . يعلمنا فرح الحرات ؟ وشيخنا قدر جبل بيلا .

وعادوا لخلوة الشيخ فرح والشرر يقدح من عيونهم فوجدوه فى صلاة المغرب فانقضوا عليه وعلى تلاميذه وأمطروهم وابلا من الحجارة والعصى .

فصاح الشيخ فى تلاميذه قائلا :

عليكم بالعود الغليظ (١)
إن ضَرَبْتَ يهَجَاك (٢)
وان كَجَرتَ يحَجَاك (٣)

ودخل أصحاب فرح فى المعركة بكل حمية وانكسر جماعة عبد القادر وولوا الادبار وتبعهم جماعة فرح فأمرهم بالكف والرجوع عنهم ودخل خلوته وكتب هذه القصيدة وأرسلها للشيخ عبد القادر :

بسم الله أبدأ مستعينا
وتسليما على ابن الصالحينا
سلام عدده مائتين ألفا
ومضروبا بمثله أربعينا
سلاما أبها من ضياء الشمس نورا
وعند البدر عين الناظرينا
وأحلى من ثمار النخل طعما
وسكرا وعسلا للشاربينا
وأحلى من عبيق المسك شما
وعنبره كند فى المدينا
سلام أبرد من نسيم السواقى
فى يوم الحر عند الصائمين

(١) العود بمعنى العصا
(٢) يهجاك ـ يسرك
(٣) يحجاك ـ يحميك

ولبن من لقـــوح بنـت ابـــل
اذا حلبـت تردف فى الحنينــا
من العبد الفقيـر الى المهيمـــن
ولد تكتـوك فرح القارحينـــا
الى الشـــيخ الذى قد عرفـــوه
ب عبد القـادر الحبـر الامينـا
جـزاه اللـه كم أصـلح بـلادا
وكم أحيا أناســا ميتينـــا
وكم نشر الخصائل والسـجايا
وكم أسـقى عطاشـا حـائرينا
وكم حفظ القـــرآن بلا ريـــاء
وعلمـه لاولاد المســـلمينا
وكم تأوى اليه الناس طـــرا
وترجـــع بالمسرة فارحينـــا
ووالده هجـو فارس الهيجـــاء
ومن ينسـبوه لتـاج الـدين حقا
هــو الشـيخ المربى للجنينا
وسبب النظـــم هذا فى رجـال
اتو منـكم قـــدموا اليـــنا
تلاقينــا وسبــــلمنا فراحـــا
باخـــوان لنا قوم مســـلمينا

وجلسوا عندنا فى حسن حال
جلوس الاتقياء المتأدبينا
امرناهم بامر فيه خير
ونحسبهم من المتواضعينا
ولا غضبوا ولا قالوا كلاما
ولا ردوا مقالتنا الحسينا
توادعنا وقبلنا الايادى
وساروا حامدين وشاكرينا
وغابوا عننا وقتا قليلا
وعادوا بالعشية محربينا
اتونا فى الصلاة بلا حياء
وفعلوا فعل شيطان لعينا
فمنهم من ينف وله بكاء
كأَنَّ ابوه مقتولا رهينا
ومنهم من يصبح وله صراخ
وينقز نقزة الحمل السمينا
وعادتى احث على المعالى
واهدى كل قوم حائرينا
ولو لا · حق حرمتكم علينا
لما عادوا بِقَدَمٍ سالمينا
ولو كانو ملوكا من قريش
وابنا الحسين الشارفينا
ولكن النميمة أن تأتت
تربى الفل بين المسلمينا

ومـا ينقلـها الا شـــــقى
وابنــــاء الزنـــاة الخـائينا
وهـو والله مـــن اصـــل دنىء
نباتا خـاسرا مـن ارزليـنـــا
جئتـك باعتـــذار يـا أخَـىَّ
قبول العـذر فعـل الصـــالحينا
وبعـــد العـــذر ننصحكم بامر
تميـــل لـــه قلـــوب الغافلينـــا
اجمعهـــم وأمـــــرهم بخـــير
وحرضـــهم على الحـــق المبينــــا
فــان قبـــلوا جزاهم ربى خــيرا
وان نفـروا لظى للنـــافرينا
وصــــلى اللـــه ربى ثـــم
سلم على الهادى شـفيع المذنبينا

الصبر

الصبر عن والبكاء مذلة
الا لخمس ذنبهم مغفور
العالم المحى البلاد بعلمه
كالنيل او كالموضع الممطور
والحاكم العدل المقيم على الوفاء
لا يفترى فى حكمه ويجور
والبازل البطل المغير على العداء
يشفى الغليل ويجبر المكسور
ثم الكريم جزاه ربى الف كرامة
يأوى اليه الضائق المضرور (١)

هذه القصيدة على نهج الحروف الهجائية اقتطف منها بعض الاجزاء .

بالالف الامانة ان توفى الدين
احفظ للودائع والجوارح زين
صن نفسك من جميع الشين
الزوجة ارعاها مع الوالدين
بالباء برهن فيه السعادة اليك
الرب يرزقك ولدا يبهدل بيك
بالتاء التوكيل والقناعة اخير

---

(١) لم اعثر على الوصف الخامس كما حدده الشيخ فى البيت الاول ـ الا لخمس ذنبهم مغفور

ارضى ان تكون بضيء القفص كالطير
مقبوضا ذليلا فى البلاء والضير
بالثاء الثنـــاء فيه المزيد معـــلوم
ماتبخـل بنعمـة ربـك القيـــوم
اخدم بيمينك لو بقيت مســـقوم
ما تمشى على باب الخلائق تحـــوم
بالجيم جالس الامـــين الحـــر
الخـوان جلوسن فى اوانـــو يضر
انظر فى طعامات العســـل والبر
كيفن يبقى ان خلط عليهو المـــر
بالخاء يا أخى ها الزمـــن جاسوس
فى دار الزوال لا تصاحب المطموس
يدخل فيك كما دخل الهشيم السوس
بالدال الدوام بالامـــر والمعـــروف
العلم والعبادة كن بها موصـــوف
لازم للنصيحة والامان والخـــوف
ان جاتك مصيبة لا تكون ملهـــوف
بالراء الرفد للحـــر والمملـــوك
التابع هواه يا صـــاحبى مدروك
عجل بى طعامك للجايع المهلـــوك
العندو القليل يبقى كثير مبـــروك
بالعـــين عـــلم اولادك القـــرآن

الصفات والايمان

اول الشروع فى المقـــــال
بسمه الرحيم الرازق الرحمـــــن
ثم الصلاة علىا لنبى محمـــــد
السيد المبعـــوث مـــن عـــدنان
مما يجب لله جـــل ثنـــاووه
عشرون وصـــفا ثابت ببيان
واجب على كل مكـــف يافتى
آنس وجـــن حـــرها والعـــانى
وهى الوجود وقدمـــه وبقـــاؤه
وكذا المخالفه بســـاير الاكوان
وقيامة بالنفس جل جـــلاله
وهـــو الغنى الواحـــد الفردانى
وكذلك يجب بعد الذى قدمـــته
ســـبع تسموها صفات معـــان
وهى المفردات قـــدرة ازلية
متعلقان بســـائر الامكـــان
والعلم قد عم الوجود وضـــده
والجائر الموصـــوف بالنقصان
وكذا الحياة وجوبها وثبوتهـــا
من غير ما يوصف به الحيـــران
والسمع لله الجليـــل الهنـــا
من غير اصـــمغة ولا آذنـــان
والبصر يتبعـــه اذا متعلـــق

فى كل موجــود بلا عينـــان
وكذا الحروف مقدم ومؤخـــر
من غير اعــراب ولا الحـــان
وله الصـــفات قادر بمـــراده
وهو العليم فى كل يوم شـــأن
حى ســـميع باصر متكلم
ومنزه على كل وصـــف .. دان
والمستحيل على الجليـــل الهنـا
رب العبــاد الواحـــد الديان
الفنا العدم وحدوثه وتجــريده
والعـــدم ان ياتى له طـــريان
وكذا المماثل للحوداث جمـــلة
حاشا المقـــدس ان يمـــاثل فان
فى جرمه اعراضـــه ومكـــانه
كذا الجهات ووصـــفها بزمـــان
والاحتجاج الى المحل لذاته وصفاته
ومخصص الايجـــاد والعدمان
وكذا التعدد ذاته وصـــفاته
والخلق اوجدها بـــلا ممـــوان
والعجز شيء لا يليـــق بذاته
للفعل والاكـــراه والنســـان
والجهـــل لا يوصـــف ...
كالظن والتشكيك والغفـــلان

والموت والصمم مبـــاعد عنهما
حاشا المقدس ان يكون عميـــان
والبكم انفاه واثبت ضـــده
وهـو الكـلام منـزه الديـان
وأضداده الصفات المعنوية واضـح
قال السنوسى صـاحب البرهـان
دلت على هذا الحـوادث جملـة
قد صـح فيه الفعل والتـركان
رفع السماء بغير عمد تحتهـا
والارض باسطها بلا اركـــان
وكذ االنجوم مسـخرات بامره
والقمر كالعسكر مـع السلطان
والطير فى جو السـماء مسخر
والريح سـائرة بلا جنحـــان
والشمس تبدو فى الصباح وتنتهى
مع الغروب ويدخـل الظلمان
تاتى السماء تفيض ماء طـاهرا
والبحر مملـؤ من الحتيـان
والارض تسوى وتكتسى بزخاف
ويزيد خير يعجـب السـكان
ويزول عنها خيـرها ونعيمها
يشبه هشيما يابسـا خسران
والابل والبقر يكـون براعى
والوحش فى تيه بـلا رعيان

والخيل عز والحمير خـــديمها
والبغل مخلوق مــن الجنســان
دبر امورا لا يحيط بوصــفها
وكذا الجبال العـاليات الشـأن
وكذا جميع الخلق اتقن صـنعها
منها اناث وبعـدها ذكـران
والعنكبوت اتت ببيت محــكم
ما كان من قطــن ومن كتــان
وكذلك الزبور أحكم نســجة
ومشبه للنحــل فى البنيــان
لكنه خــال من الخيــر التى
قد جاء فيه الفضل فى القرآن
لاتحسبن الخــير فى بنيــانه
وأعلم ان الخير فى الســكان
لا ينحصر صـــنع الا له لناظر
ومشبه الســفل فى العليان
لكنها محصـــورة فى علـمه
فى بطــن فلـك دائم الدوران
لو كان ربى متصف بنقيصـــه
ما أوجـد الاشــاء بالاتقـان
لكنه كل الكمـــال يجــب له
والعيب منفى مع النقصــــان
ارسل رجــالا من بنى ادم لنـا
حقا بصــدق بلغوا بامـــان

فالكذب شيئا لا يليق بشـــأنهم
والنقص والتحييـــز والكتمـــان
جائز لهم اكل الطعـام وشربهم
للمـاء والتزويج للنســـوان
وكذا يموت ويمرض ويسـافر
وقتال أهل الكفـر والطغيـــان
املاك ربى لا ذكور ولا نســـاء
وهم اللطائف وجســـهم نورانى
لا يغفلون عن ذكر ربى ســـاعة
قد عصموا من سائر العصـيانى
مما يجب تفصيلهم فالجمـــلة
والعشر نعـــرفهم على التبيـان
جبريل حفيـظ ربى لرســـله
وكذا ميـــكائيل ... اثنـــان
والثالث اسرافيل صاحب نفخة
والقـابض الارواح للحيـــوان
وكذا نكير ومنكر وســـؤلهم
عن كلـــمة التوحيد والايمـان
وكذا رقيب وعتيد وحفظـــهم
صاحب الشمال وصاحب الايمان
واقول مالك فى العذاب موكـل
وعلى الجنان موكل رضـــوان
نزلت بحق واحتوت بمعـــارف
للرسل من عرب ومن عجمـــان

لكن على التفصيل تعـرف اربع
واجب لها من جملة الايمـــان
انجيل عيسى والزبور لسـيدى
التوراه لسـيدنا ولد عمران
انزل على خير البرية كلهـــا
داؤدو والرابـــع الفـــرقان
عرب قريش من خير قبيـــلة
وهو الشفيع لصاحب العصيان
وابوه عبد الله جده هاشـــم
سموه أحمـ ـد جده عـــدنان
بنت وهب تدعى بآمنـــة الـتى
ولدت محمد كامل الاحســـان
واجب على كل مكلــف نآ يعتقـــد
هذه الامور وينصب البرهـــان
وكذا القيامة بعثها ونشـــورها
والحــــوض والحشر والنيران
وكذا الجنان نعيمها وثمـــارها
وقصورها والحـــور والولدان
ينظر لــرب العـــالمين مـــن
غـــير تكـييف ولا امكــــان
وكذا يلبس من ثياب سندسـى
خضر واســـتبرق من الالوان
يعطى الكتاب لكافر بشـــماله
ويمينه المؤمـــن الايمـــان

تؤمن بقدر ســــابق فى علمه
كالدرة والاجيال يا اخـــــوان
وكذا السعادة والشقاء مقـــدر
وجرى بها المرسوم فى الليحـان
اسمى فرح بن الفقير محمـــد
. . . .
وعليك صل الله طول الدهر ما
ضحك البراق .. وردف البسمان

المعشر

هذه المنظومة مبتورة لم اتمكن من العثور على مطلعها ونهايتها . وهى تكشف وتنم عن ثقافة الشيخ والمامه بحياة عصره ايضا .

كم حوى النمرود عساكر
كم فعل بيهن مناكر
للقيامة ماهو ذاكر
فى الخلائق ماهو فاكر

كم ملك قصرا وشيد
كم سجن قوما وقيد
كم دعى جيشا وايد
كم قهر ملكا مشيد

كم رفع شداد مشامخ
كم تعطر بى مرامخ

كم دفن فرعون دخائر
كم حفر ليهن حفائر
كم قلبت قبله جائر
... خلاها سائر

كم بنا هامان وعلا
فى القصور طلع ودلى
اندمر خلاها ولى

كم جمع قارون نفائس
كم جعل ليهن دسائس
كمله ابكار العرائس
اندمر خلاها قائس

كم جمع قيصر جماعه
مدعين قوة وشجاعه

كم دعا البطلوس أعاجم
كم هجم بيهم هواجم
والدماس مثل السواجم

كم بني عاد وهمر
كم دعا هود ودمر
كم طغى سيلا وحمر
بعدها ولى وشمر

كم جمع كسرى خلائق
راكبين خيلا طوارق
الحديد ليهن مطارق
والدروع فوقهن سوارق